

مجلة العلوم الاجتماعية

مجلة محكمة تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية
جامعة وهران 2 (محمد بن أحمد)

العدد: 07/ 2019

ISSN: 1112-5780
ISSN électronique :2661-7137
Dépôt légal: 396-2005

للاتصال

البريد الإلكتروني : revue.sciencesociales@univ-oran2.dz

Site web : <http://www.univ-oran2.dz/revuefss>

ISSN: 1112-5780
Dépôt légal: 396-2005

EDITIONS
DAR ELQODS EL ARABI
01.RueHarouni Bouziane Rond-point de la Wilaya
Centre Commercial EL MOUNTAZEH-ORAN
Tel: 0556230762-FAX: 041.38.55.48
ص.ب 627 البريد المركزي 31000 وهران
quds_arabi@hotmail.fr
حقوق الطبع محفوظة



مدبر النشر

عميد كلية العلوم الاجتماعية
أستاذ عبد الكريم فضيل

مدبر المجلة

أستاذ رايح سبع

لجنة التحرير

- الهواري عدي - أستاذ مميذ معهد البحوث السياسية - ليون (فرنسا) وجامعة جورج تاون (الولايات المتحدة الأمريكية).
- أفلين عقاد - أستاذة مميذة جامعة ايلينوا (الولايات المتحدة الأمريكية) - الجامعة اللبنانية الأمريكية ببيروت.
- قمر بندانة - أستاذ جامعة منوبة - تونس.
- شريفة بوعطة - أستاذة جامعة الجزائر 1 - مديرة مجلة علم النفس.
- جان بول شنيولو - أستاذ مميذ - مدير معهد البحث حول البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط - باريس - مدير مجلة Confluence Méditerranée.
- عبد الصامد ديالمي - أستاذ جامعة الرباط.
- كريمة دراش - مديرة بحث CNRS-مركز جاك برك - مديرة سابقة IRMC تونس.
- عبد الرزاق دوراري - جامعة الجزائر - مدير CNLPT - مدير مجلة تمسال ن تمزغت.
- ندير معروف - أستاذ مميذ جامعة Picardie (فرنسا).
- سهام نجار - أستاذة جامعية ISSH.
- محمد مولفي - فيلسوف أستاذ جامعة محمد بن أحمد وهران 2.
- لورنتموكليي - أستاذ MSH (فرنسا).
- محمد مبنول - أستاذ جامعة محمد بن أحمد وهران 2.
- الحبيب تليوين - أستاذ جامعة محمد بن أحمد وهران 2.
- منير بهادي - فيلسوف أستاذ جامعة محمد بن أحمد وهران 2 - مدير تحرير مقدمات.
- مصطفى تمبي - أستاذ كلية الأدب والعلوم الإنسانية - UCAD دكار السنغال.
- جان ألان غودباي - مدير مخبر البحث العلوم الاقتصادية والاجتماعية - مدير مجلة كودسترية

لجنة التنسيق

- علم اجتماع: مهدي سويح
- علم النفس والأرطوفونيا: فراحي فيصل
- ديموغرافية: خضرة راشدي
- أنطروبولوجيا: أميمة محمودي
- فلسفة: أيمن بو طرفة
- أمانة المجلة: أيمن بو طرفة
- ماستر واب: فاطمة الزهراء بطيب

اللجنة العلمية

- مزيان بن شرقي
- محمد داود
- محمد صالح
- حلومة شريف
- محمد مكي
- محمد قويدري
- عبد الحميد بكري
- بدرة معتصم ميموني
- نادية يوب
- زين الدين زمر
- شارب دليلة

لجنة القراءة

- فاطمة الزهراء دلّاج سبع، جامعة وهران 2.
- جيل فرأول، جامعة FrancheComté فرنسا.
- عالي كواسي، جامعة باتنة 1.
- محمد موزات، CREAD.
- محمد بشير، جامعة تلمسان أبو بكر بلقايد.
- عبد الرحمان بنيزة، جامعة وهران 2.
- بلخدر مزوار، جامعة تلمسان أبو بكر بلقايد.
- سميرة ميسوم، جامعة ورقلة قصدي مرياح.
- محمد بن عيسى، جامعة تلمسان أبو بكر بلقايد.
- محمد بدروني، جامعة البليلة سعد دحلب.
- محمد مدجاود، جامعة سيدي بلعباس جلالى اليباس.
- محمد بوفاتح، جامعة الأغواط عمار ثلجي.
- عالي حمزة، جامعة تلمسان أبو بكر بلقايد.
- بن عمار سواريث، جامعة وهران 2.
- فوزي بن دريدي، جامعة سوق أهراس محمد شريف مساعدي.
- أميرة جويده، جامعة الجزائر 2.
- محمد بوشيبية، جامعة وهران 2.
- مبارك نجاح، جامعة وهران 2.

دعوة للمساهمات
مجلة العلوم الاجتماعية
مجلة محكمة تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية
جامعة محمد بن أحمد وهران 2

ترحب كلية العلوم الاجتماعية، لجامعة وهران 2، بمساهمة كل المشتغلين بحقل العلوم الاجتماعية بمختلف تخصصاتها من علم الاجتماع والديموغرافيا والفلسفة وعلم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا من أجل إثراء وتطوير البحث العلمي بنشر مقالاتكم في مجلة الكلية المسماة مجلة العلوم الاجتماعية، باللغات الثلاث التالية: العربية، الإنجليزية والفرنسية.

وعليه نطلب من السادة الأساتذة والباحثين إرسال مقالاتهم لهيئة التحرير على العنوان التالي: revuesocialoran2@gmail.com
على أن تراعي في المقال الشروط التالية:

1. ألا يكون المقال قد سبق نشره أو قدم لمجلة أخرى للنشر (تعاهد ممضى من قبل المعني).
2. كل المقالات تخضع للتحكيم.
3. بالنسبة للغة العربية يكون الخط ب TraditionalArabic في متن المقال بحجم 16 بفارق خطوط 1، 5، أما الخط في اللغات الأجنبية الأخرى فيكون ب Times News بحجم 12 بفارق خطوط 1، 5.
4. المصادر والمراجع تكون بالطريقة الأنجلو سكسونية APA، مع إمكانية اعتماد طريقة أخرى.
- بالنسبة للإحالة في المتن، الفقرة، (اسم شهرة المؤلف، الحرف الثاني من الاسم، السنة، الصفحة)
- بالنسبة لقائمة المراجع:
أ) الكتاب: المؤلف، (السنة)، "عنوان الكتاب". المدينة، دار النشر.
ب) المجلة: المؤلف، (السنة)، «عنوان المقال»، عنوان المجلة، الرقم، الشهر، السنة.
ج) فصل من كتاب جماعي: المؤلف، (السنة)، "عنوان الفصل"، ضمن (عنوان الكتاب)، منسق الكتاب، الطبعة، المدينة، دار النشر، ص ص.
د) الأطروحات: المؤلف، (السنة)، عنوان الأطروحة، أطروحة دكتوراه تخصص.....، الجامعة، البلد.
ه) تضبط قائمة المراجع في آخر المقال.
5. يرفق المقال أو الدراسة بملخص باللغة الإنجليزية في عشرة أسطر (150 كلمة على الأكثر) مع عشر كلمات مفتاحية (5 على الأكثر) على أن يعبر عن محتوى المقال المقدم للنشر.
6. كل مقال غير قابل للنشر لن يعاد لصاحبه واللجنة العلمية تعلمه بنتائج تقييمه العلمي وفق التحكيم.
7. يقدم صاحب المقال عنوانا لضمان مراسلته من قبل هيئة تحرير المجلة.
8. يرسل لصاحب المقال المنشور نسخة من المجلة وثلاث نسخ من المقال.

جدول المحتويات

- افتتاحية.....9
- تقديم.....11

مجتمعات

- الحراك الشعبي بالجزائر: الدوافع والعوائق عبد القادر بوعرفة.....17
- قيمة المواطنة ودورها في التنمية المحلية بلحاجي أمينة.....39

إنسانيات

- الفكر العربي المغربي عند الجابري بين أزمة الحداثة وكيفية قراءة التراث
أودينة خالد.....57
- مفهوم (السياسية الكبرى) في فلسفة نيتشه السياسية أيمن بوطرفة.73

تساؤلات

- تأثيم المثقف؟ محمد داود91

ملخصات ومفاهيم مفتاحية

افتتاحية

يمثل هذا العدد تحول المجلة نحو التخصص في مجالات وتيمات معينة في كل عدد، وفي هذا العدد فانه من الطبيعي أن يكون موضوع المجلة هو الحراك الشعبي الجزائري. حيث تعطي المظاهرات بداية من 22 فيفري 2019 أحد أكثر التباينات الأكثر أخذاً في التاريخ. مثيرة بذلك الدهشة والإعجاب بفعل جدية جذريتها وفخامة سلميتها. وهي تعني بكل وضوح حراك شعبي في خلفية عملية تمردية. وإذا كان هذا البعد الثنائي يتقاطع مع مفهوم الثورة، فإنه يعني اذا وفعليا زخما ثوريا متولدا.

مفهوم الثورة الذي يضل مثيرا للجدل، شهد تحولات سيمنطيقية متعددة بتعدد المجتمعات والأطر التاريخية التي دار فيها. مع احتفاظه في المخيال الكوني بمضمونه الأساسي والمؤسس، والذي يعني القطيعة مع الممارسات والأفكار المثار ضدها. وفي حال موضوعنا هذا فان الاجماع يكون حول استعمال مصطلح "النظام"، كاختصار مريح في تناول الغالبية.

بكل تأكيد فنحن نقف أمام صحوة الوعي الاجتماعي الذي ضل خامدا لفترة طويلة، في نوع من السبات الطويل بفعل عديد الوسائل السياسية والاقتصادية والقمعية. وهذه الوسائل ذاتها يبدو أنه أصبحها الهرم، حيث أن أجهزة الدولة أيديولوجية كانت أم قمعية، فقدت لجام التحكم في الوعي الجمعي. المواطنون يتظاهرون متحددين في مجتمع كل شيء فيه معد للفرقة بفعل اشكاليات الجنس، العمر والمطابقة الاجتماعية. نحن نشهد هنا فعلا تحرر وعي كان مقيدا لفترات طويلة.

يتفق الجميع أن الطبيعة السلمية لهذا الحراك تتأتى من الذاكرة التي ما تزال حية، ذاكرة العشرية السوداء التي اشترك فيها العنف الارهابي وقمع النظام الشمولي.

لكن هذا الأمر حتى ولو كان مؤسسا، فانه لا يكفي لتفسير كل شيء. حيث نجد أنفسنا أمام نتيجة نضوج اجتماعي بطيء وطويل المدى، يجد جذوره في أعماق المجتمع الجزائري، الذي ينتظر منذ عديد العقود منفرجا لعديد آماله وتطلعاته.

فلنعتقد أن هذا الحراك الشعبي يتقدم ايجابيا في اتجاه التطور ومجتمع موجه نحو المستقبل. نجد أنفسنا منذ 22 فيفري 2019 أمام مسؤولية جماعية متعددة الأشكال.

تقسيم المهام داخل الحراك، تنظيم الحوار، مواصلة التفكير وتدير اجراءات استعجالية، من خلال المجموع ومجموعات التفكير، هي اشارات عن تنوع بدرجة كبيرة.

نحن نشهد تجديدا لطرق التعبير الاجتماعي. فالمطالبة بالديمقراطية التشاركية بسلمية مبرورة بنضوج في الوعي الاجتماعي. الحراك الشعبي بخلفية العملية التمردية تجاوز أو تسامى على المطالب الكلاسيكية لإشباع الحاجة المادية، ليشمل مسألة النظام السياسي ذاته. في "ثورة الابتسامة"، يتبع هذا البعد السياسي نضوجا في الحركات الاجتماعية التي استفادت من تقاليد النضال السابقة لدى النقابات أو غيرها، مع دمج العناصر التي تشكل جزءا من التقدم الاجتماعي مثل رفع المستوى التوجيهي، وتحسين مستوى المعيشة أو استخدام شبكات الاتصال الديمقراطية المتاحة بسهولة لأكثر عدد من الناس.

وبالتالي، فإن حراك المواطنين هذا هو في الأساس علامة على ارتقاء الوعي المجتمعي بصياغة مطالب جديدة، أو التعبير عن المجتمعي أو ربطه بالسياسي في شكل توقعات وآمال. إذا فتسمية الحراك الشعبي بأنه "ثورة ابتسامة"، هو في حد ذاته نوع من التفاؤل. ناهيك عن كل الشعارات المحملة بروح الدعاية التي ترافقه. البعد الاحتفالي الذي يرافقه أيضا، يناقض مع أي ميل للكارثة. حيث يعمل بمثابة آلية للتنفيس وأيضا الترياق للعنف، وهو ما يشجع على القضاء على جميع أشكال العنف. هذا ما يفسر من بين أمور أخرى، أن ملايين المتظاهرين يلتقون كل يوم جمعة، حتى أصبحت تعني "جمعة التغيير"، في كل هدوء وانضباط.

بالطبع، لعبت الإنترنت دورا رئيسيا في هذه السلوكيات. وذلك بما تتيحه شبكات التواصل الاجتماعي من امكانيات الاعلام والتعديل. لهذا السبب، فإن حركات المواطنين، في جميع أنحاء العالم، والتي تجعل من هذه الوسائط سلاحها المميز، تدري أن أملها في رؤية حلمها يتحقق يمر من خلال وسائل الاتصال هذه.

وهكذا، فإن الحراك الشعبي الجزائري، وفيما وراء طابعه الاجتماعي والسياسي الواضح، فإنه يفرض نفسه، في أبعاده المتعددة، كأداة للمعرفة.

تقديم

مخصصا للحراك الوطني الجزائري الجاري حاليا، يفتح هذا العدد بمساهمة قيمة قدمها محمد مولفي، حول توقعات المنتظرة من جزائر في حراك. يشرح لنا المؤلف ببراعة، كيف أن ظهور هذا الموضوع التاريخي بشكل غير متوقع بقدر ما هو ضروري، أعاد اشكالية التمرد والطاعة الى ساحة النقاشات السياسية. بالنسبة لمحمد مولفي فإن أعراض الحالة الجزائرية هي اشارة لبداية أو استئناف كوني، لنهاية سخرية وعبثية سياسية معينة.

في السياق نفسه يظهر مقال محمد مبتول المعنون بالحركة الاجتماعية الجزائرية في 22 فبراير 2019: العمق والقوة في الفضاء العمومي. وفيه يتم التطرق لقراءة الحركة الاجتماعية الجزائرية من الداخل، بناء على الملاحظات والمقابلات مع المتظاهرين. يحاول المؤلف إظهار عمق وقوة الحركة الاجتماعية الجزائرية، ويحلل المركزية السياسية للعمل الجماعي المتجذر في المجتمع، بالاعتماد على العمل الابتكاري للشباب الذين يصلون إلى إنتاج تراث سياسي يتكون من عديد الشعارات. تلك الشعارات التي تظهر لهم الرغبة في الحرية والكرامة والمواطنة، كما يهتفون بها في قلب الأماكن العامة، كما يحدد محمد مبتول.

شريفة بوطا تتساءل عما نحلم به؟ أخذا في الاعتبار أن الحلم هو وفقا لفرويد يمثل آلية نفسية هدفها تحقيق رغبات مكبوتة. فتعتبر صاحبة المقال المواطن وأن الحركة الشعبية التي يطلق عليها اسم "الحراك" هي انبثاق للإرادة الشبانية، وهذا يذكرها باندلاع حرب التحرير ضد المستعمر الفرنسي. تحدث فرانتز فانون حول هذا الموضوع في كتاب "معذبي الأرض". كما تذكر، بأن كل ما عليك فعله هو إلقاء نظرة على صور المجاهدين والمجاهدات التي عرضت خلال المظاهرات يوم الجمعة لتدرك أن الشباب هم الذين غيروا مصير الجزائر.

مقال مسعود بلحساب الذي يحمل عنوان "صور أركونية في الحراك الجزائري"، يسعى لتعريف الحراك، أو حركة المواطنين قيد الحدوث في الجزائر انطلاقاً من قراءات إبستمولوجية و"معرفية". يستكشف المؤلف مسارات معرفية جديدة من خلال توضيحها مع زاوية منظور محمد أركون، ومن عملية التمرد تسكن في أعماق الحراك الجزائري.

في مقابلة عن المجتمع المدني في الجزائر، يرى رابح سباع أن ضرورة القطيعة هو أمر تطلبه مختلف الفئات الاجتماعية التي أصبحت جهات فاعلة سياسياً في الحراك. ووفقاً له، فإن الحراك هو حركة مواطنة على خلفية عملية تمردية. حيث يتداخل هذا البعد المزدوج مع مفهوم الثورة. كما يرى بأن الطبيعة السلمية لهذا الحراك تتأتى من الذاكرة التي ما تزال حية، ذاكرة العشرية السوداء التي اشترك فيها العنف الإرهابي وقمع النظام الشمولي.

لكن هذا الأمر حتى ولو كان مؤسسا، فإنه لا يكفي لتفسير كل شيء. حيث نجد أنفسنا أمام نتيجة نهج اجتماعي بطيء وطويل المدى، يجد جذوره في أعماق المجتمع الجزائري، الذي ينتظر منذ عديد العقود منفرجاً لعديد آماله وتطلعاته. في كتاب "رؤى متقاطعة حول الحراك"، يوضح لنا الكاتب الصحفي مصطفى بن فوضيل كيف يقوم الأكاديميون بفك رموز حركة 22 فبراير منذ البداية. كما يخترق بعمق أسئلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، معتبراً أن حراك المواطنة هو موضوع للمعرفة.

في قسم إضاءة، يطرح محمد قويدري في نص موثق جيداً معنون ب المواطنة والدولة الأمة والعملة، السؤال التالي: ما الذي يمكن أن نقوله حوله في الجزائر اليوم؟ استجواب تتداخل فيه مقولات المواطنة والدولة الأمة والعملة في جدلية الحراك. يطرح قودري عديد الأسئلة حول قانون الشعوب وحقوق الإنسان، وأيضاً عن الجوانب الإيجابية حسب مصطلح "الشعبوية".

في قسم الإنسانيات، يقترح رايح سبع، في عمل أدبي جديد، يحمل عنوانا مثيرا "خطوات القدر" حوارا بين مواطن يشارك في الحراك وابنته الصغيرة لينا. حوار يتحرك في قلب حركة الحراك.

في قسم منوعات، يظهر مقال حول منسوب الرضا في العمل والشخصية، تفترض فيه بشرى السليمانى فكرة تبدأ من نموذج "الخمسة الكبار" لتحديد الخصائص الشخصية التي من المحتمل أن تشجع الموظفين على الشعور بالرضا الوظيفي. والسؤال المطروح حسيها هو ما إذا كانت الشخصية ستؤثر على قدرة الفرد على تجربة الرضا الوظيفي؟ تظهر النتائج أن الرضا الوظيفي هو نتيجة لشخصية الموظف فعلا.

في استعراض مفصل للغاية لكتاب سمير أمين "صحوة آسيا"، يعطينا محمد مولفي "نظرة رجعية" على هذا عبور الاستثنائي للقرن العظيم من الثورات وإنهاء الاستعمار وما بعد السوفيات.

باللغة العربية، يقدم لنا عبد القادر بوعرفة نصا رائعا حول دوافع وعقبات الحراك الجزائري. حيث يتطرق لسبل تفادي الغرق في إغراءات الأيديولوجيا، كما يحدد بعناية الإطار الفلسفي والمنهجي لتفكيره هذا، مظهرا أن هذه الحركة المدنية راسخة في أعماق المجتمع الجزائري ولها أفق واعد.

تستكشف بلحجي أمينة إمكانيات التعبير عن المواطنة بالتنمية المحلية من خلال إظهار أن مفهوم المواطنة يمكن أن يفلت من مصيره التجريدي، وذلك عبر الاستثمار في مادية الحياة المجتمعية اليومية.

يدعو "أودينة خالد" للقيام برحلة في الفكر العربي المغاربي من بوابة محمد عابد الجابري، وذلك في شكل قراءة للتراث من خلال تفجير بعض القوالب النمطية الراسخة في التقاليد الفلسفية المغاربية. وفي نفس السياق الفلسفي يتجه "أيمن بوطرفة" لعرض واستكشاف مفهوم السياسة الكبرى في فلسفة الفيلسوف

الألماني فرديريك نيتشه. حيث يستعرض النقد الاستشراقي النيتشوي للسياسة المعاصرة وما ستؤول اليه من تأزمات وعطلات، خصوصا فيما يتعلق بالنظام "الديمقراطي".

في القسم تساؤلات، يتساءل محمد داود "أيتام المثقف"، وذلك من خلال إستدعاء مفهوم الشعبوية وعودته الى الخطاب المتداولة عن الحركات المجتمعية.

مجتمعات

أحراك الشعب بالجزائر: الدوافع والعوائق

The Popular movement in Algeria : Motives and obstacles

أ.د. عبد القادر بوعرفة^{1*}

¹ كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران²، الجزائر

1- مقدمة (Introduction):

دلالات المفهوم وإشكالات الواقع الجزائري منذ نشوء المدينة (الدولة فيما بعد) كنظام سياسي، يعنى بشؤون الجماعة السياسية من حيث معاشها وأمنها وفكرها - باعتبار أن السياسة هي فن تدبير المدينة أو تسييرها كما حاول أرسطو أن يقينها - إلا وهي تشهد كثيرا من التحولات الجذرية سواء من حيث بنية النظريات السياسية أو من حيث نفسية الحشود البشرية (الديموس = Démos). حيث يخضع الجمهور في أي دولة لجملة من التحولات والتغيرات، تتأرجح ما بين حالة السكون التي يفرضها القهر والاستبداد، والتي تتمظهر في سلوك الطاعة والخضوع، أو حالة الحراك (الاحتجاج) المتمظهر في عدة أوجه¹ أشهرها العصيان، الثورة، والتمرد ... ويكون ذلك حين يبلغ الوعي السياسي حده، والصبر أشده، والتحمل أقصاه. وبين حالتي السكون والحراك تنبلج في الأفق عدة نظريات لتفسير ظاهرة التحول الاجتماعي، ويتأتى ذلك من خلال تفسير الحراك الشعبي، والتعرف على مآلاته ونتائجه، دوافعه وأدواته، وكذا العوائق التي يمكن أن تعيق حركة التغيير، وبناء نظام سياسي واجتماعي جديد، يحقق القطيعة مع كل أشكال الهيمنة والاستبداد التي مارستها الأنظمة السابقة. وقد تحدثت عن ذلك في مقال سابق وسمته بـ "الديمقراطية المستبدة" التي قارستها الأنظمة العربية.²

الباحث المراسل: bouarfah9@gmail.com

¹ - عبد القادر بوعرفة (العرب وسؤال الحرية) مجلة المستقبل العربي، العدد 359، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ص: 164.

² - عبد القادر بوعرفة (الديمقراطية المستبدة) مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، المجلد 1/ العدد 1، 2012، جامعة وهران، ص: 32.

شهدت الألفية الثانية موجات تحرر في العالم العربي، اصطاح المحللون على تسميتها بثورات الربيع العربي: "اصطاح المهتمون على وصف هذه الحركات بالربيع العربي الذي قادته الفئات الشبابية في العواصم الحضرية، رافعة شعارات ذات تلاوين، مختلفة كشعارات الحرية والديمقراطية...، وبذلك تحولت المدينة العربية إلى فضاء للاحتجاج والتعبير عن الرفض الشعبي لأنظمة الحكم بصورة عامة، أو لقطاعات من أجهزتها الإدارية والأمنية التسلطية بصورة خالصة".¹

ويبدو جليا أن ما تشهده الجزائر اليوم من احتجاجات يختلف اختلافا كثيرا عما حدث من قبل، فالاحتجاجات السابقة لم تكن عامة ولا مؤثرة، فأغلبها كانت تحركات مناطقية كاحتجاجات أدرار سنة 2008، ورقلة سنة 2014، غرداية سنة 2008 ثم 2015، عين صالح سنة 2015، الخ...، أو كانت فتوية كاحتجاجات الأطباء والطاقم الطبي، أو عمال النظافة ... ولقد رصدت جريدة " Middle East Monitor" بأن الجزائر: "على مر السنين، شهدت الجزائر العديد من الاحتجاجات. بلغ عدد الاحتجاجات في عام 2017 ما يقرب من 12000، والتي استمرت حتى عام 2018. ومع ذلك، هناك إجماع على أن موجة الاحتجاجات الحالية، التي بدأت في 22 فبراير، مختلفة في الطبيعة والفعالية والأهداف وما يبراد الوصول إليه".²

إن هذا التوصيف للظاهرة يضعنا أمام إشكالية نحددها في القضية الآتية: الحراك من حيث هو احتجاج شعبي عام انطلق من دوافع ذاتية وموضوعية، وتلك الدوافع هي التي ستثمر عن نتائج بالرغم من العوائق. وعليه: ما دوافعه؟ وما مطالبه؟ وما العوائق التي تجابهه؟ وهل يمكن اعتبار الحراك استثناء جزائريا مقارنة مع دول الربيع العربي؟

¹ - طاهر سعود، وعبد الحليم مهورباشة (المدينة الجزائرية والحراك الاحتجاجي مقارنة سوسيولوجية) مجلة عمران، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، العدد 5/18، 2016، ص: 94.

² - <https://www.middleeastmonitor.com/20190314-different-kinds-of-protests-in-algeria>

07/09/2019 / T: 18:24.

قبل أن نباشر البحث والتقصي تفرض على قواعد البحث أن نقف في مقدمة البحث عند مفهوم "الحراك" من أجل اقتناص دلالاته البعيدة والقريبة، فلحد الساعة هناك غموض في مفهوم الحراك سواء من حيث البعد اللغوي أو البعد المعرفي. وتشكل هذا الالتباس من خلال ارتباط الاحتجاج بالجزائر بما وقع في الدول العربية، خاصة تونس، مصر، ليبيا، سوريا، اليمن.

إن تلك الدول انخرطت فيما سمي بالربيع العربي، والذي أنتج لنا مفهوم "الثورة"، فتونس سمت حركتها الشعبية بثورة الياسمين، ومصر بثورة 25 يناير، وليبيا بثورة 17 فبراير، واليمن بثورة الشباب اليمني (11 فبراير)، وسوريا بثورة 15 مارس ويلاحظ أن تلك الثورات انخرط صناعاتها على العموم في موجة عنف متفاوتة النسبة كان أقلها ظهورا بتونس، والتي لم تشهد ما شهدته ليبيا أو سوريا على سبيل المثال.

إن مصطلح الحراك بفتح الحاء اسم مشتق من فعل ثلاثي أصله حرك أو بالتشديد حرك، ويعني الحركة التي تعبر عن كل مظهر عام من مظاهر النشاط، وهي بذلك ضد المكون. جاء في لسان العرب: "حرك: الحركة ضد السكون حرك يحرك حركة وحركا وحركه فتحرك قال الأهرلي و كذلك يحرك".¹

ويقابلها بالإنجليزية لفظتين ذات مدلولين مختلفين نسبيا، فالحراك بمعنى Mobility² يعني فعل التنقل من مكان إلى آخر، أو من طبقة إلى أخرى... وهو لا يتوافق مع موضوع الحراك الجزائري.

وعليه تكون اللفظة الثانية (Mouvement*) هي التي تدل دلالة قوية على موضوعنا، وتعني الحراك السياسي والاجتماعي ضمن المكان نفسه، وعليه

¹ - ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، الجزء 4، دار صادر، بيروت، 1988، ص: 94.

² - هناك عدة أشكال للحراك: 1- Social mobility: تنقل الأشخاص أو الجماعات إلى أسفل أو إلى أعلى الطبقة أو المكانة الاجتماعية، في هرم التدرج الاجتماعي. 2- Intergenerational Social Mobility: الحراك الاجتماعي داخل الجيل. 3- Mobilité Spatial: وتعني التنقل الجغرافي. 4 - Mobilité Social: التنقل المهني ويخص المهن والحرف.

فالحراك المقصود بالدراسة لا يعني التنقل والهجرة، بل يعني الحركة الاحتجاجية والنضال السياسي من أجل تغيير الوضع السائد إلى وضع أكثر أمنا واستقرارا، وعليه يمكن أن يشترك اللفظان في معنى التنقل إذا نظرنا إلى الأمر من زاوية الانتقال من نظام فاسد إلى نظام راشد، أو من شرعية تاريخية إلى شرعية سياسية، أو من مجتمع بطريكي موجه إلى مجتمع مدني واعي.

وعلى العموم، يمكن القول بأن مفهوم الحراك يمكن النظر إليه على أنه: " من زاوية أخرى، يعر الحراك الاحتجاجي داخل الفضاء العمومي عن أزمة النسق السياسي، حيث لم يعد بإمكان خطاب الفاعل السياسي وأدواته التنفيذية إقناع المواطنين بالاحتكام إلى المؤسسات والأجهزة الإدارية العمومية في طرح مطالبهم والتكفل بها، فيقدمون على الاحتجاج، ليتحول هذا الفضاء إلى مكان تملس فيه صنوف التفاوض الاجتماعي بين المحتجين وأسياد الحقل، فتضعف هذه الممارسات أداء المؤسسات الحضرية التي يديرها النظام السياسي، وتكشف عن العجز البيروقراطي الكامن في أنظمة الحكم الحضري."¹

وعليه إننا ونحن ندرس ظاهرة الحراك بالجزائر نقف أمام أنموذج جديد ومختلف تماما عن أشكال الاحتجاج بدول الربيع العربي، وهو مختلف حتى عن الحراك السوداني، فالحراك السوداني شهد أعمال عنف تجاه المتظاهرين ومات الكثير منهم، بينما في الجزائر ولحد الساعة وبعد مرور أكثر من 29 أسبوعا لم نسجل أي أعمال عنف ولا ضحايا.

إن السبب المباشر للحراك الشعبي العام يوم 22 فبراير 2019 يعود إلى لحظة إعلان ترشح الرئيس عبد العزيز بوتفليقة لعهدة رئاسية خامسة، بالرغم من

* « The noun movement means a change of position or location. If you're watching a play .you might notice that an actor's repeated movement from one side of the stage to the other shows her character's nervousness.»

<https://www.vocabulary.com/dictionary/movement>. 07/09/19. T : 11 :29

¹ - طاهر سعود، وعبد الحليم مهورباشة (المدينة الجزائرية والحراك الاحتجاجي مقارنة سوسولوجية) م.س. ص: 96.

حالته الصحية المزرية والمتفاقمة منذ سنة 2013 حين أصيب بسكتة دماغية ألزمته الكرسي المتحرك.

والجراك الشعبي شهد ثلاث أيام احتجاجية:

1- تظاهرات الجمعة: اختير يوم الجمعة كموعده للاحتجاج والتظاهر لعاملين رئيسيين، الأول أنه يوم عطلة، مما يوفر للمواطن الجزائري حرية الحركة وعدم تضييع العمل أو الدراسة، والعامل الثاني يعود إلى رمزية يوم الجمعة في ذهنية المواطن الجزائري، يقول د. قادة جليد: " إن الحشود الكبيرة من الشعب التي تخرج كل يوم جمعة للتظاهر في الشارع، هي في حقيقة الأمر تعبر عن انتمائها العقائدي الإسلامي لأن يوم الجمعة وما يحمله من رمزية دينية عند الجزائريين هو طاقة روحية معبئة يلتبس من خلالها الإنسان الجزائري المسلم الدعاء والبركة والتوفيق من الله، لذلك تكون المشاعر في هذا اليوم صادقة ويلتحم فيها الشعب بطريقة إيمانية عجيبة، حيث تلتقي مطالب الأرض بعناية السماء ويلتحم فيها الواقع بالغيب ويذوب الأفراد في الإرادة العامة للأمة على اختلاف أفكارهم وانتماءاتهم وقناعاتهم، لقد ظهرت الفكرة الدينية بقوة وعبرت عن نفسها كمركب حضاري كما يرى مالك بن نبي رحمه الله، هذا المركب الذي انصهرت داخله كل العوامل الأخرى".¹

2- تظاهرت الأحد: نظمتها شخصيات وأحزاب علمانية، وأنصار المواطنة، وكان مجالها الحركي العاصمة فقط. لم تستطع جذب المواطنين الجزائريين، لعدة أسباب أهمها أن يوم الأحد هو يوم عمل مقارنة بيوم الجمعة، وثانيا أن الداعيين لها يشكلون في المخيال الجزائري العداوة لبعض الثوابت الوطنية.

3- تظاهرات الثلاثاء: نظمتها الأسرة الجامعية من طلبة وأساتذة، ولها زخم لا بأس به، ولا زالت مستمرة ليومنا هذا، ومجال حراكها الجامعات الكبرى (الجزائر،

¹ - <https://www.raialyoum.com/index.php/> الحراك-الشعبي-في-الجزائر-قراءة-استشرا يوم 06/09/2019 على

الساعة 17:27 مساء

وهران، قسنطينة، ...) وهي تتقاطع مع حراك الجمعة في الشعارات والمطالب، وتمثل ثاني أقوى حراك شعبي منظم، نظرا لبنيته وطبيعة منضاليه. ومن خلال ما سبق كيف يمكن دراسة ظاهرة الحراك؟ وما دوافعه؟

2- منهجية البحث وموضوعاته (Methods)

يبدو جليا من خلال تاريخ العلم أن دراسة الظاهرة الإنسانية والاجتماعية جد معقدة، لكون الدارس والمدرّس من طبيعة واحدة، مما يجعل دراسة الظاهرة جد صعب مقارنة مع المادة الجامدة (الفيزياء مثلا)، ذلك أن الظاهرة لها أبعاد ذاتية وأخرى موضوعية، كما تلعب الإيديولوجية والنزعات دورا كبيرا في توصيف المشهد الإنساني والاجتماعي. وأمام صعوبات دراسة الظاهرة الإنسانية والاجتماعية دراسة دقيقة وموضوعية، فإن اختيار مناهج الدراسة يجب أن يكون وفق مقدمات إبستمية دقيقة، والتي نحدد على النحو الآتي:

1- الحراك معطى مباشر، يتطلب المشاهدة والمعاينة والمعايشة، ولا يمكن لأي دارس أن يتعرف عليه إذا لم يكن منخرطا فيه، فالصور والأشرطة وما يكتب عنه لا يعبر بالضرورة عنه تعبيرا حقيقيا.

2- الحراك ظاهرة معقدة لتعدد الرؤى والفواعل، فبرغم وحدة الجمهور في الشارع إلا أنه متعدد المشارب والمناهل الإيديولوجية، وعليه نرى مجالا للاتفاق وآخر للاختلاف في الوقت نفسه، وهذا التناقض يجعل من الصعب التحكم في معرفة من يسير الحراك أو من ينظمه، فالغالب أنه عفوي وعام، ولكن من حيث الواقع هناك أطراف خفية، وجهه، بيد أنها ليست لوحدها، فساحة الحراك مفتوحة لجميع الفواعل دون استثناء.

3- انعدام المادة العلمية، فالحراك لم يكتب عنه بشكل علمي وأكاديمي، بل جل ما كتب عنه مقالات صحفية أو تقارير جيوسياسية، بينما البحث الأكاديمي يجب أن يتمأسس على الدراسات الأكاديمية.

3- أن جماعة الحراك متفاوتة من حيث الوعي والعموية، فكثير من الحراكيون مجرد كتل من اللحم متحركة، وينطبق عليهم وصف غوستاف لوبن: "قدمنا عند

الكلام في صفات الجماعة الأولية أنها منقادة عادة إلى العمل من دون أن تشعر بالدافع إليه، فتأثير المجموع العصبي في أفعالها أكبر جدا من تأثير المخ، وهي بذلك تشبه كثيرا الرجل الفطري، وقد تكون الأفعال التي تصدر عنها كاملة من حيث التنفيذ إلا أن العقل لم يكن رائد فيها، بل أن الفرد في الجماعة يعمل طوعا للمؤثرات التي تدفعه إلى الفعل فالجماعة ألعوبة في يدها المـهيجات الخارجية وهي تمثل تقلباتها المستمرة، وحينئذ هي مسخرة للمؤثرات التي تقع عليها.¹ وأمام هذه العتبات الإبتيمية، نرى أن أفضل منهج لدراسة ظاهرة الحراك يكمن في المنهج الوصفي والمسحي، شريطة أن نركز على عنصري المعيشة والمشاهدة. عنصر المعيشة ارتكز على مدينتين، مدينة وهران التي شاركت في أغلب جمعها، وتعتبر هي مجال الدراسة الرئيس، ثم مدينة عين الصفراء التي شاركت بعض جمعها أثناء العطل.

مكنني عنصر المعيشة من التعرف عن كثب عن مكونات الحراك، وقراءة شعاراته، وسماع أغانيه وأهازجه، والتمعن في الصور والكتابات، والوقوف على بعض الأحداث التي لا تذكر في الوسائط ولا وسائل الإعلام، وعليه فالمعيشة تعتبر منهجا مهما لوصف الظاهرة وصفا موضوعيا، بناء على قاعدة القصيدة أولا، ثم التركيب بين الذات وموضوع البحث من خلال العنصر النشط المتمثل في اللوز (Noese)، العنصر النشط الذي يقوم بالربط بين الهيئة المقصودة (Morphe) والمادة المـهركة (Hyle).²

¹- لوبون، غوستاف، روح الاجتماع (نفسية الجماهير). دار الأونيس موفم للنشر، الجزائر، ط1، 1988، ص، ص: 37، 38.

²- عبد القادر بوعرفة (المنهج الفينومينولوجي في العلوم الإنسانية) مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، المجلد 1/8، جامعة وهران 2 (الجزائر)، جانفي 2018، ص: 21.

1 - الدوافع

يكشف لنا عنصر المعاشة والمسح، بأن الحراك الجزائري انطلق من جملة من الدوافع، والتي هي عبارة عن الأسباب غير المباشرة التي تراكمت بفعل الزمن والطغيان السياسي، والتي نحددها على النحو الآتي:

1- الواقع التراجيدي: يعيش المواطن الجزائري منذ 1962 واقعا مأسويا من حيث السياسة والاجتماع، ذلك أن النظام الجزائري منذ تشكله، بقي على فلسفة الطغيان وشعار الزعيم المذل لهم، وقد قادت هذه النظرة الهوجاء إلى ممارسة الاستبداد السياسي في أعتى صورته، والذي صنع لوقت طويل شعبا خانعا وخاضعا، ويعبد أوثانه السياسية عبادة لا حد لها (الكادر مثالا).

جاء في تقرير يومية "مراقب الشرق الأوسط" باللغة الإنجليزية: "لا يختلف سياق الاحتجاجات الجزائرية الحالية اختلافا جوهريا عن حركات الاحتجاج العربية، التي ترتبط بجوهر النظام الاجتماعي في المنطقة، وأنماط تراكم رأس المال، وهيكل الطبقة والدولة، والعلاقة مع الرأسمالية الدولية."¹

لم تكن العهدة الخامسة هي السبب فحسب، بل كانت هي النقطة التي أفاضت الكأس، فالطغيان السياسي تراكمت نتائجه حتى بلغت حد الانفجار. ولقد زاد الوضع الكارثي لرئيس الجمهورية في إشعال أتون غضب الشارع الجزائري. وعموما إن الواقع المأساوي ينتج حين يحدث صراع بين مشروع الشعب وبين مشروع الدولة العميقة والتي تعبر عن مشروع العصابة الفاسدة والمحتكرة للسلطة: "فالتغير المثالي المنشود والحلم للجماهير مشروع تتبناه بالأساس الدولة، ولا يتم بمعزل عن إرادة سياسية تتبنى إطلاق المشروع. فإذا كانت الدولة مقاومة للمشروع، فلا تستطيع طوائف المجتمع إطلاقه إذا لم تتوفر لديها القوة لدفع إدارة الدولة كي تتبنى المشروع."²

¹ - <https://www.middleeastmonitor.com/20190314-different-kinds-of-protests-in-algeria>. 07 /09/2019 / T: 18:36.

² - العسوفي، عمر يوسف، الحراك الشعبي العربي، دار المأمون للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2015، ص: 22.

للرأسمالية المتوحشة: لم يتم الانتقال من النظام الاشتراكي إلى النظام الرأسمالي بصورة تدريجية وهادفة، بل تم الانتقال بصورة استعجالية غير مدروسة، مما جعل النظام الجزائري يرتبط ارتباطا كليا بأشكال الرأسمالية المتوحشة، والتي مكنت لفئات قليلة سبل الرخاء والثراء، بينما حشرت الأغلبية في زاوية الفقر وانخفاض القدرة الشرائية.

- هلاك الطفرة: مكن النظام السياسي ثلة من المواطنين استثمار أموال الدولة لصالحهم، فظهر جيل من الليبراليين الجدد الذين أعادوا هيكله الاقتصاد الجزائري وفق نظام البيوتات والأفراد لا وفق نظام المؤسسات والجماعات.

3- تأثير الأحداث القطرية: لم يغامر الشعب الجزائري فيما يسمى بموجة الربيع العربي التي شهدتها كثير من الدول العربية، ولعل سبب إحجامه هو سيناريو فترة التسعينات، وعليه ركن الشعب للسلم بالرغم من قساوة الحياة وضنك العيش، ولكن كان للثورات العربية الأثر البالغ في نفسيته، فالإطاحة بالطغاة أثلج صدور الجزائريين. كما أن الحراك الجزائري استفاد من أخطاء احتجاجات دول الربيع العربي.

4- الأنظمة العسكرية: وجد الشعب نفسه أمام استبدادين، استبداد سياسي ذو صبغة مدنية، واستبداد ذو صبغة عسكرية، فالأول استبداد شكلته ممارسات النظام البوتفليقي من خلال سياسة النهب والسلب، الإقصاء والتهميش، ... والثاني من خلال مخلفات ما يسمى الأمن القومي، فتكميم الأفواه، الاعتقالات، الملاحقات، المضايقات، والمتابعات شكلت ضغطا كبيرا على الناشط والمناضل الجزائري.

-تواطؤ القوى الغربية: اكتشف الشعب الجزائري زيف القوى الغربية، فهي تنادي ظاهريا بالحرية وحقوق الإنسان وممارسة الديمقراطية، لكنها في الباطن تساند الأنظمة الاستبدادية، ولعل ما حدث لدول الربيع العربي خير دليل على أن الدول الغربية لا يهمها أمر الشعوب الجنوبية. لذا كان هذا الوعي دافعا على الاعتماد

على مقومات ومقدرات الشعب في التحرر من النظام السياسي الفاسد والأنظمة التي تسانده.

2- المطالب

وبناء على تلك الدوافع، حدد الحراك مطالبه فيما يأتي:

- إزاحة النظام ورموزه: والمطلب يتعلق بسلطة الواجهة وبسلطة الظل (الدولة العميقة)، فاستقالة الرئيس وبعض المقربين إليه لا تكفي، فالتغيير بوصفه مطلباً شرعياً يفرض إزاحة النظام من جذوره. ولم يستطع النظام أن يؤثر في الحراك بخطواته الست، سواء العملية أو المقترحة:
- أولاً: سحب ترشح الرئيس لعهدة خامسة.
- ثانياً: تأجيل الانتخابات لأجل غير محدد.
- ثالثاً: تغيير حكومي شمل أغلب الوزراء.
- رابعاً: اقتراح تنظيم ندوة وطنية تضم جميع الفعاليات، تكون مهمتها اقتراح إصلاحات سياسية عميقة بما فيها دستور جديد يعرض للاستفتاء.
- خامساً: اقتراح تنظيم انتخابات رئاسية تشرف عليها لجنة انتخابية وطنية مستقلة.
- سادساً: اقتراح تشكيل حكومة تضم كفاءات وطنية تدعمها الندوة الوطنية.
- ويدل رفض النقاط الست المدرجة كحل من قبل النظام درجة الوعي السياسي، وقوة الإرادة الشعبية في إنهاء حكم الألوغارشية المقيتة.
- تأسيس الجمهورية الثانية: التي ستبنى على مقومات الدولة الحديثة، ولا تبنى على الشرعية الثورية التي كانت غطاءً للاستبداد والطغيان، وحرمان أجيال ما بعد الاستقلال من ممارسة حقها السياسي.
- الحرية والكرامة الإنسانية: يشعر الجزائري أنه مواطن تنقصه الحرية والكرامة، فهو يعامل كإنسان ناقص الأهلية، وأنه حالته المعيشية أقرب

ما تكون لحالة اللاجئين، بل كثير من المواطنين يشبهون حالهم بحال الحيوانات.

- مدنية الدولة واستقلالها: الدولة الجزائرية منذ الاستقلال لم تكن أبدا مدنية، بل كانت عسكرية بامتياز، وهذا يجعل الدولة غير مستقلة، فحكم العسكر المتستر بما يسمى بمدنية الدولة أفرز تخلفا سياسيا واجتماعيا، وعليه فالدولة المستقبلية يجب أن تكون مدنية بالفعل والقول لا بالشعار.

- المواطنة وحقوق الإنسان: يحلم كل مواطن جزائري بأن يعامل في بلاده على أنه إنسان ومواطن كامل الحقوق، مما يكفل له المشاركة السياسية في تسيير البلاد، وعلى الأقل من ذلك أن يعيش كإنسان.

- التوزيع العادل لثروات البلاد: لقد تبين من خلال مراحل حكم الرئيس بوتفليقة أن ثروات البلاد الهائلة تم توزيعها على زمرة فاسدة (العصابة)، وهذا التوزيع ظالم وغير شرعي ولا قانوني، مما يجعل كل مواطن جزائري يأمل في دولة تتحقق فيها العدالة الاجتماعية، ويتم توزيع ثروات البلاد بصورة عقلانية وموضوعية.

3 - النتائج (Results)

من خلال دراسة ظاهرة الحراك الجزائري لمدة 29 جمعة (من 22 فيفري إلى 07 سبتمبر 2019) يمكن أن نستنتج أهم مخرجاته وخصائصه على النحو الآتي:
مر 29 أسبوعا على مسيرة الحراك السلمي، توج باستقالة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة بعد مناورات بائسة من قبل قوى غير دستورية، كانت الأولى من أجل الترشح لعهدة خامسة، والثانية محاولة تمديدتها لبضعة أشهر، لإجراءات إصلاحات دستورية مهمة حسب زعمهم، من خلال عقد ندوة وطنية جامعة، وهي التي تحدد موعد الانتخابات الرئاسية، وكان الرئيس المنتهية ولايته يحلم أن يسلم عرش الرئاسة لمن سيخلفه.

لكن الشعب الجزائري رفض التمديد والتأجيل، فكانت المحاولة الثالثة البقاء لغاية 28 أبريل؛ مع إصدار قرارات مهمة، وتدشين ثلاثة مشاريع هامة على رأسها المسجد الكبير، وفتح المطار الدولي الجديد، وتدشين الملعب الأولمبي الكبير، لكن الشعب رفض. لم يكن للرئيس آخر الأمر إلى الانصياع لأمر الشعب والجيش، فقدم استقالته يوم 2 أفريل سنة 2019، بعد أن عجز الطاقم الرئاسي وآل بيته من استنفاد الوقت اللازم لتحضير خروج مشرف وآمن لهم¹. إن أكبر نصر حققه الشعب الجزائري من خلال ثورته السلمية يمكن أن نحدده في العناصر الآتية:

1- الانتصار على الخوف: انتصر الشعب على الخوف ونفسية الركون، وطلق السكون واتجه صوب الحراك الاجتماعي والسياسي، مما أحدث قفزة نوعية في الوعي لم نلاحظها لدى كثير من الشعوب التي ثارت على سُلطها، فلم نسجل طيلة الجمع حدثا مأساويا، ولم تسلم قطرة دم واحدة.

2- الوحدة الوطنية: انتصر على النعرات الإثنية والجهوية، ولم ينساق وراء الدعاية المغرضة ولا الشائعات التي حاول من خلالها النظام إحداث انقسام داخل الجبهة الشعبية، فكان الشعار الأكثر حضورا لا فرق بين القبائلي، العربي، الميزابي، الشاوي، الترقى.. كلنا جزائريون إخوة في الدين والوطن، وهذا التلاحم الوطني تم التعبير عنه من خلال التمسك بالراية الوطنية كراية سياسية وحيدة، أما الرايات الأخرى ما هي إلا تعبير عن انتماء ثقافي، ونقصد الراية الأمازيغية، النابلية، الهلالية.

3- جزارة الحراك: يبدو أن الحراك الجزائري لم يكن في طبيعته إلا جزائريا، فهو لم ينخرط في موجة الربيع العربي التي أغلغها مارست العنف، وأصرت على تسمية احتجاجاتها بالثورة. من خلال المقاربة التاريخية والسياسية نلاحظ بأن الحراك

¹ - مقتبس من مقال نشرته بالجزيرة: <https://blogs.aljazeera.net/blogs/2019/4/4> حراك-فبراير-السلي-حين- يكون-الشعب-في-مستوى-الحدث.

- الجزائري يعتبر استثناء جزائريا، فهو لحد الساعة لا زال احتجاجا سلميا ومنظما تنظيما عفويا إلى حد ما، ويرفض الحراكيون تسميته بالثورة أو الانتفاضة، ولحد الجمعة 29 لا زالت تسمية الحراك هي الأفضل والأصوب،
- 4- التدرج في المطالب: قوة الحراك الجزائري أنه لم يدرج مطالبه دفعة واحدة، بل تفنن في المطالبة والمغالبة، فكلما حصل على مطلب هام إلا وأدرج مطلباً أكثر أهمية، ولعل هذه الطريقة في تقديم المطالب هي التي جعلته يستمر ليومنا هذا.
- 5- المغالبة السلمية: تعلم الجزائري كيف يطالب عن طريق المغالبة السلمية دون أن ينجر نحو العنف واستعمال القوة، ولقد مكنته المغالبة السلمية من كسب أمرين، الأول من جانب القوة الحركية، والثاني من قبل الجيش.
- إن الم - كسب الأول يمكن أن نرصده في التزام الحراك بما يأتي:
- نبذ أي صور للعنف مع الجيش والشرطة، ورفض خطاب الثورة والحرب الأهلية.
 - رفع شعارات تدعو الجيش إلى مرافقة الحراك (الجيش والشعب خاوة خاوة)
 - الإصرار على سلمية التظاهرات والمسيرات.
 - رفض التأطير الحزبي والديني وحتى المناطق.
 - تقديم مطالب شعبية بعيدة عن الخطاب الإيديولوجي.
 - رفض التدخل الخارجي من أي دولة أو جهة كانت.
 - في المقابل قدم الجيش مكاسب للحراك:
 - الإقرار بشرعية الحراك وسلميته وللتراجع عن خطاب الم - غرر بهم.
 - مرافقة الحراك وحمایته.
 - عدم الانقلاب وأخذ السلطة بالقوة، والتأكيد على التمسك بالدستور.
 - النزج برموز الفساد في السجن.
 - تحرير القضاء، ودعوة القضاء للعمل وفق قوانين الدولة الجزائرية

6 لتنظيم غير المهيكل: امتاز حراك 22 فبراير بالتنظيم المحكم على مستوى 48 ولاية، ولم يحدث صدام بين الشعب وقوات حفظ النظام، بل كان تحول الشباب إلى دروع تحمي عناصر الأمن من أي اعتداء تقوم به عناصر المندسة والمنحرفة. - ظهور شعارات ذات بعد ثوري محض، تعكس درجة اليأس من النظام القائم، وهذا يؤكد أن صبر أيوب قد بلغ حده وأن الشعب قرر أن يمضي إلى آخر المطاف، فليس هناك ما يخسره حاضرا ومستقبلا قياسا مع ما خسره طيلة صبره وانتظاره، ومن تلك الشعارات التي غزت العالم بأسره: "ترحلوا يعني ترحلوا"، "ارحلوا جميعا"، "ترحلوا قاع" ولعل هذا الشعار الأخير هو الأكثر رواجاً لأنه مستمد من اللغة العامية فلفظة "قاع" تعني الكل بوجه مطلق لا استثناء فيه.

7- رفض التمثيل الحزبي والشخصي: لم يقع الشعب الجزائري في فخ تمثيل الحراك بل كان مصرا على ألا يمثله أحد مهما كان وزنه أو تاريخه، لأن التمثيل في تلك المرحلة كان ليكون في صالح النظام، والذي كان يطلب من الحراك الشعبي تعيين ممثليه حتى يحاورهم. غير أن عدم وجود ممثلين عن الحراك جعل السلطة تقف عاجزة عن المناورة، فحتى الشخصيات التي كانت تحلل وتحدث عن الحراك لم تجرأ القول بأنهم يمثل الحراك، بل الحراك ذاته رفع عدة لافتات يرفض أن يمثله كان من كان. وفي الوقت نفسه تحرر نسبيا من هيمنة الحركات الشمولية سواء الإثنية أو الإسلامية. ويمكن أن نسبي هذه الحالة بالإيديولوجيا المعلقة إلى حين.

8_ حضارية الحراك: يتجلى السلوك الحضاري للحراك في كثير من المظاهر التي عايشناها وأحصيناها، وأهمها:

1- نذكر أنه في جميع المسيرات لم يتم سب رئيس الجمهورية وإن طال السب محيطه وزبانيته، فالشعب الجزائري كان مدركا بأن الرئيس لا يحكم بسبب مرضه، وإنما الحاكم الفعلي شقيقه سعيد بوتفليقة، الذي شكل جماعة غير دستورية تحكمت في مفاصل الدولة، فنهبت المال، وعطلت المصالح، وأبعدت

الشرفاء، وقربت السفهاء، وبددت أحلام الشباب ودفعتهم للهجرة في قوارب الموت.

2- ظهور ثقافة التعبير الحر من خلال التفنن في كتابة الشعارات¹، واختيار الأناشيد الوطنية الحماسية، كما سجلنا حضور صور أبطال ثورة التحرير الوطني أمثال العربي بن مهيدي، لطفي، سي الحواس، عميروش، زبانه، وهذا في حد ذاته انتصار تاريخي، حيث لم تستطع السلطة أن ترسمه بقوة برامجها الدراسية وأيامها الاحتفالية، لكن الشعب رسمه بقوة الوعي والرغبة الملحة في الانتماء للحظة النوفمبرية.

3- أهم ما سجلته في خضم هذه الأحداث، هو تحول الشعب إلى قارئ للدستور، وهو الذي كان منذ شهرين يجهل مواده الدستورية، بل لا يجذب الحديث عنه، لكن الأحداث المتسارعة جعلته يحفظ ويعي كثير من المواد: 7، 8، 28، 102، 104، ... وخاصة المادة 102 التي شكلت محور حديثه في أغلب الأحيان.

5- تفنن البعض في السخرية والتنكيت، ووجدت تلك الفنون قبولا في أوساط الشعب، مما جعل الحراك يكتسب طابعا مرحا وفنيا.

9- تحرير مؤسسات الدولة: تم تحرير وسائل الإعلام والقنوات الفضائية، فاصطف أغلبها مع الشعب. حيث استطاع الشعب أن يكسب سلطتين مؤثرتين الجيش والإعلام، بالرغم أن الشعب لن ينسى الدور السلبي لبعض القنوات المحسوبة على النظام، والتي وإن تخلت عنه في اللحظات الأخيرة غير أنها ستحاسب حسابا عسيرا، لأنها تأسست بفضل المال العام المنهوب، وعملت على تضليل الشعب وقتا طويلا.

10- الحذر والذكاء: امتاز الحراك إلى يومنا هذا بالاحترافية في تنظيم نفسه بنفسه، ونلاحظ ذلك من خلال ما يأتي:

¹ - Sarah Slimani et d'autres .**La révolution du sourire** .Edition Frantz Fanoun .Algérie .2019 ; pp.150 ; 151.

-انتشرت الشائعة بصورة مذهلة، وكان الغرض من زرعها إرباك الشعب، وصرفه عن الأحداث المحورية، لكن الوسائط الاجتماعية وعلى رأسها الفيس بوك مكنت الشعب من الاطلاع على كل كبيرة وصغيرة، والقدرة على التمييز، وعليه لم تستطع الشائعات كسر إرادة التغيير.

-رفض الحراك الشعبي أي تدخل أجنبي، لذا كان الشعب ضد تدويل الحراك من قبل النظام، وذاك من خلال رفض كل ما قام به رمطان لعمامرة بالخصوص، فذهابه إلى الصين وروسيا وإيطاليا كان من أكبر الأخطاء التي ارتكبها النظام.

11- التعبئة الشاملة: لعب الحراك دورا مهما في تغيير موقف الجيش، ففي الجمعة الأولى كان موقف الجيش منحازا للنظام، ووصف القائد المتظاهرين بالمغرر بهم، كما لمسنا لغة التهديد والوعيد في الخطاب الأول، تم الرد عليه بجمع مليونية شملت كل الولايات بدون استثناء، حتى تلك الولايات المعروفة بولائها للنظام منذ 1962 انتفضت لأول مرة، وخرج شبابها يصرخون: ارحلوا ارحلوا. وتظهر التعبئة العامة في حضور القوي للمرأة الجزائرية، فالنظام السابق كان يراهن دوما على العنصر النسوي للمساندة والمؤازرة من خلال سن جملة من القوانين التي أتاحت للنساء الحصول على مناصب برلمانية وحكومية وفق نظام الحصص (الكوتا).

12- الحلم المشروع: إن أهم نتيجة نتوصل إليها من خلال مجريات الحراك أنه يعبر عن حلم جميل ورائع، حلم ليس بالمستبعد ولكنه صعب وسط جو خطير، وتطور قد يفضي إلى كابوس رهيب، إنه جميل أن نحلم بدولة مدنية ديموقراطية، يكون شعارها العدل والمساواة، وأدواتها الديموقراطية والاقتراع المباشر، ويكون ضامنها الضمير والمواطنة وحق الإنسان في الوجود. لقد عبر عن هذا الحلم الشعبي د. نقاز إسماعيل (نهاية الغاشيوقراطية.. وفلسفة الثورة في الحراك الجزائري) : " ما حدث في 22 فبراير / شباط 2019 م، يمكن أن نعتبره منعطفًا حضاريا في المشوار السياسي في الجزائر، وهو ليس حراك مطالب، بقدر ما هو حلم تتسع دائرة خياراته بتطلع هذا الشعب الذي عانى سنوات من التعتيم والانغلاق

والغاشيوقراطية التي قضت على نبضه وأحلامه، هو ليس حراك مطالب؛ لأن الشعب يئس من الوعود، يئس من الروتين السياسي الذي تمرد على نمطيته وتنميته لكل شيء بعنوان السخافات والبلادات.¹

5- مناقشة النتائج (Discussion)

كل ما توصل إليه من نتائج يجب ألا يخرج عن دائرة الدراسة الاجتماعية، التي قد تصدق وقد تخطأ، ولكن بالرغم من احتمالية الخطأ، نرى أن أغلب النتائج المتحصل عليها تتقارب مع كثير من المقاربات الإعلامية والتقارير العالمية حول الوضع بالجزائر.

كما يمكن القول بكل موضوعية بأن الحراك لم يصل إلى أهدافه بعد، فتتحمية سلطة الواجهة لا يعد تغييرا جذريا بل هو مجرد تغيير سطحي، فالحراك هدفه التغيير الجذري للنظام العميق، ونقصد أن ما بعد الحرك هو العمل البطولي الذي سنقوم به حقا، فتغيير سلطة الظل والقوى الخفية في دواليب السلطة تحتاج منا نضالا كبيرا، وكلنا مجمعون على أن المسيرات ستستمر حتى نصل إلى جميع أهدافنا دون نقصان.

معركة الحراك القادمة ستكون من أجل تنحية رئيس الدولة الحالي عبد القادر بن صالح، وحكومة نور الدين بدوي، وحل المجلس الدستوري الحالي، والبرلمان بغرفتيه، ثم التمكين للشعب من خلال المادة السابعة والثامنة من الدستور، حيث لا يؤمن الشعب الجزائري في انتخابات ديمقراطية وشفافة في بقاء الولاية ورؤساء الدوائر، فضلا عن رئيس الحكومة المعروف بتزويره لأغلب الاستحقاقات السابقة. فالجزائر حاليا بالفعل في مأزق دستوري، ورد في مقال كتبه الصادق حجل بعنوان (Why the Algerian popular movement has succeeded until now؟) بأن الجزائر تعيش مأزقا دستوريا بالرغم من الدعوة إلى التمسك بالدستور: "الجزائر الآن أمام مأزق دستوري وسياسي كبير، هناك حلول ولكن للحفاظ على جميع

¹ - <https://arabic.euronews.com/2019/03/20/the-end-of-gachocracy-and-the-philosophy-of-the-revolution-in-the-algerian-uprising>. 14/07/ 2019. T: 19:28.

الحلول الممكنة، يجب أن تتجنب أي مواجهة بين المواطنين والقيادة العسكرية. بالطبع، تتمتع الحركة الشعبية بكل الحق في الضغط والمطالبة بما يبدو مناسباً كحل، ولكن دون الدخول في مواجهة مع الجيش، لأنه في النهاية، لعب الجيش دوراً رئيساً وإيجابياً حتى الآن.¹

إن مناقشة ظاهرة الحراك من خلال المستوى السياسي والاجتماعي، تجعلنا ندرك جملة من العوائق التي يمكن أن تعيق مشروع التغيير وبناء دولة مدنية جديدة، وأهم تلك العوائق نحصرها فيما يأتي:

1- الدستور: يشكل الدستور الجزائري حالياً أكبر عائق أمام تغيير النظام، فقد شكله النظام السابق على مقاسه وفق كل المستجدات والمتغيرات، وحالياً الدستور يعطي حصانة لحكومة بدوي وفق المادة 104. كما أن مراجعة الدستور وتعديله غير ممكنة في ضوء وجود رئيس شرعي للبلاد.

2- لجنة الحوار: تعتبر محاولة لترويض الحراك، فهي لا تختلف عن نموذج ندوة الوفاق الوطني لسنة 1994، ولا تختلف أيضاً عن مقترح رئيس الجمهورية تنظيم ندوة وطنية جامعة.

3- المؤسسة العسكرية: رغم الموقف الإيجابي للمؤسسة العسكرية لحد الساعة، إلا أنها تمثل عائقاً أمام تشكيل دولة مدنية جديدة، فتشبهها بحرفية الدستور، يقوض عملية التسوية، وعليه يجب الجمع بين الحل الدستوري والحل السياسي، مع العلم أن كثيراً من القرارات المتخذة من قبل رئيس الدولة الحالي لا تمت للدستور بصلة.

كتب زين العابدين غابول بموقع معهد واشنطن للسياسة الشرق الأوسط " مع استمرار هذا المأزق السياسي الذي يلوح في الأفق حول الحياة الجزائرية، بالإضافة إلى عدم الاستقرار الإقليمي على طول الحدود الجزائرية، أصبح الانتقال السلمي والسلس للسلطة أكثر أهمية من أي وقت مضى. ومع ذلك، فإن نجاح هذا

¹ - <https://moderndiplomacy.eu/2019/05/12/why-the-algerian-popular-movement-has-succeeded-until-now/> At: 07/09/2019/ 10:12.

الانتقال مشروط بعاملين رئيسيين: حركة شعبية أكثر تنظيماً وظهور حوار بين النظام السياسي والمتظاهرين.¹

4- الأحزاب الشمولية: تقف مطامع الأحزاب الشمولية على العموم عائقا أمام أي انفراج سياسي، فكثير من زعمائها وقادتها طرحوا أفكارا كان من شأنها تفجير الوضع في الجزائر.

5- انزواء النخب المثقفة: يبدو أن الحراك منذ انطلاقته إلى يومنا هذا لم تستطع النخب المثقفة ترشيده أو توجيهه، بل شكلت النخب في كثير من الأحيان خطرا عليه وقد اصطلح البعض على مقولة معقولة جدا أن الحراك وجد بين ذبايين: الذباب الإلكتروني والذباب الأكاديمي.

6- غياب التنسيق: نلاحظ بأن أغلب الاحتجاجات تفتقر لعنصر التنسيق، مما يجعله الحركة الاحتجاجية غير متجانسة، ففي الحراك الجزائري نلاحظ أن هناك عدة طوائف تؤطره، الطائفة الأولى التي تدعو إلى التغيير الجذري وتحديد دور المؤسسة العسكرية، والطائفة الثانية تدعو للتغيير ولكن بمرافقة المؤسسة العسكرية، وطرف ثالث يريد التغيير بأي وسيلة كانت.

وعدم التنسيق هو ظاهرة شهدتها أغلب الاحتجاجات العربية: " الانتفاضات الشعبية العربية تحدث في أوطان كثيرة مستقرة، لا دستوريا ولا اجتماعيا، ولا هي موحدة سياسيا أو فكريا، ولا هي متحررة من أشكال مختلفة من التدخل الأجنبي والإقليمي، وهذا الأمر يزيد من مسؤولية قوى التغيير والمعارضات العربية من أهمية إيجاد التوازن السليم داخل كل حراك على مستوى القطر."²

ويمكن القول بأن تقييم الحراك الشعبي بالجزائر سيكون حين يصل إلى نهايته، والتي يبدو أنها لا زالت بعيدة في ظل غياب أي مؤشرات عن انفراج الأزمة.

¹ - <https://www.washingtoninstitute.org/fikraforum/view/algeria-between-radical-change-and-superficial-reform>. 07/09/ 2019. T: 10 :24.

² - العسوفي، عمر يوسف، الحراك الشعبي العربي، م.س، ص: 29.

خاتمة:

إن الحراك الجزائري سجل استثناء جزائريا بامتياز، كما حافظ على سلميته وسلوكه الحضاري، ولا بد لهذا الحراك من ترشيد وتوجيه، إذ يجب على النخب المثقفة تدارك موقفها والانخراط المعرفي لا العضوي في الحراك، لأن غياب المثقف سيزيد من احتمالية ميلاد نظام سياسي جديد يكون أفسد من الأول وأشرس منه، خاصة إذا ما توصل الحالمون والمغامرون إلى السلطة دون علم مدني أو مشروع وطني.

إن دور المثقف مهم للغاية، أكثر مما نتصوره اليوم، وأكثر مما نظر له أنطوني غرامشي أصلا، فالحراك الشعبي إذا لم يوظفه الفعل الثقافي الهادف تحول إلى طوفان مدمر، قد يقود المجتمع إلى العودة إلى عشرينيات الدم والنار في حالة التهور، وقد يؤدي إلى التمكين للنظام في حالة عدم وعي شروط التغيير والإصلاح. ويبدو أن المثقف الجزائري بالخصوص حبيس حساباته وتأويلاته، مما يجعله لا يتحرك إلا بعد فوات الآوان، وإذا تحرك لا يكاد يسمع صوته إلا على مستوى البلاتوهات، في حين أن العالم اليوم توظفه وسائل التواصل الاجتماعي أكثر من أي وسيلة أخرى. وعلى المثقف اليوم أن يؤدي ضريبة الثقافة من خلال:

1- ترشيد الحراك ترشيدا سياسيا، فالحماس المفرط والنشوة اللحظية قد تقود إلى التهور والليته. يستطيع المثقف من خلال حملته المعرفية والتاريخية أن يضع الحراك ضمن منطق التدرج في المطالبة والمغالبة، لأن ما يجرج السلطة القائمة هو الفعل الحذر والموزون للحراك الشعبي، وكل تهور واندفاع يكون في صالح النظام.

2- كشف خيوط اللعبة السياسية، وتبيان اللامنطوق، وقراءة للصوص خاصة الدستورية والسياسية قراءة تأويلية، حتى لا يقع الحراك في أحبولة من أتقنوا قراءة مكيفيلي وهوبز.

3- وضع أرضية فكرية لمتطلبات التغيير، وضبط المفاهيم والمصطلحات، وتأسيس مجتمع مدني واعي بالتغيير وسننه.

- 4- ضرورة أن يعمل المثقف على تزامن ثنائية التنوير والتثوير في الوقت نفسه، فالعمل الثوري بدون رؤية فكرية سيكون مآله الفشل، والوقوع في شرك سلطة الظل التي تتقن المناورة.
- 5- يستطيع المثقف أن يمنع تجار الدين والسياسة من أن يغيروا سلمية الحراك، وتحويله إلى حراك مدمر، قد يؤدي إلى تدمير الوطن برمته.
- 6- وأكبر ما يجب على المثقف فعله، ألا يتحول إلى تاجر باسم الثقافة، وأن يقتنص الفرص وفق ذهنية برومثيوس سارق النار والفن والسياسة.¹

¹ - أذ/ بوعرفة عبد القادر: نشرت في ندوة صحيفة "الخير" التي أدارها الكاتب والإعلامي حميد عبد القادر حول "الحراك الشعبي ومهام المثقف الجديدة" (2019/03/17).

المواطن ودورها في التنمية المحلية

الدكتورة بلحاجي أمينة

مقدمة:

تعد المواطنة الصالحة من أسمى الأهداف العليا للمجتمعات الإنسانية، ويهدى ازدياد الشعور بالمواطنة من التوجهات المدنية الأساسية التي من أهم مؤشرات الموقف من احترام القانون والنظام العلم، والموقف من ضمان الحريات الفردية واحترام حقوق الإنسان، والتسامح وقبول الآخر، وحرية التعبير، وغيرها من المؤشرات التي تمثل القيم الأساسية للمواطنة

ولعل أهم تطور عرفته البشرية بالقيم كان نتيجة ظهور العقيدة الإسلامية التي رسمت القيم الإنسانية الفاضلة في شتى مجالات الحياة، وأهمها المواطنة باعتبارها محور التنمية البشرية المستدامة فقد أجمل صلى الله عليه وسلم رسالته السماوية في القيم فقال: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، فمسايرة مؤشرات التنمية المستدامة أصبحت حتمية لا مفر منها من أجل عدم التخلف سياسيا من جهة ومن جهة أخرى في تطبيق مؤشرات التنمية المستدامة، وعليه نطرح الإشكالية التالية: كيف تساهم المواطنة في تحقيق التنمية المحلية؟

أولا: دور المواطنة في تحقيق التنمية المستدامة:

يشكل الإنسان جوهر التنمية المستدامة وهدفها النهائي من خلال الاهتمام بالعدالة الاجتماعية ومكافحة الفقر وتوفير الخدمات الاجتماعية إلى جميع المحتاجين لها بالإضافة إلى ضمان الديمقراطية من خلال مشاركة الشعوب في اتخاذ القرار بشكل من الشفافية والنزاهة واستدامة المؤسسات في ظل التنوع الثقافي. وعليه فإن عملية التنمية المستدامة تتضمن تنمية بشرية تهدف إلى تحسين مستوى الرعاية الصحية والتعليم، والمشاركة السياسية في صنع القرارات

التنمية التي تؤثر في حياتهم، حيث يشكل الإنسان محور عنصر التنمية المستدامة، والعنصر الهام الذي تشير إليه تعريفات التنمية المستدامة، أيضا العدالة أو الإنصاف والمساواة¹.

ويكون النظام مستديما اجتماعيا في إيصال الخدمات الاجتماعية كالصحة في حال حق العدالة في التوزيع والتعليم والمساواة في النوع الاجتماعي والمحاسبة السياسية والمشاركة الشعبية والانتقال بالمواطن من حالة ومستوى أدنى إلى حالة ومستوى أفضل، ومن نمط تقليدي إلى نمط آخر متقدم كما ونوعا وتعد حلا لا بد منه في مواجهة المتطلبات الوطنية في ميدان وهكذا تصبح عملية التنمية هي عملية تطوير القدرات وليست عملية تعظيم المنفعة الإنتاج والخدمات، أو الرفاهية الاقتصادية فقط بل الارتفاع بالمستوى الثقافي والاجتماعي والاقتصادي، وحق التعبير والحفاظ⁴ على البيئة وحق المشاركة في تقرير شؤون الأفراد بين الأجيال الحالية والمقبلة².

إن التنمية كظاهرة هي قديمة ظهرت مع ظهور البشر والتجمعات السكانية لكن التنمية كمفهوم فهي حديثة النشأة حيث بدأ الاهتمام بها من قبل الباحثين والمفكرين وصناع القرار بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وتتضمن أبعادا متعددة تتداخل فيما بينها لذلك فإن فهم العلاقات المتبادلة بين العمليات البيئية والاجتماعية والاقتصادية ضروري لفهم التنمية المستدامة لأن من أهم الخصائص التي جاء بها مفهوم التنمية المستدامة هو الربط العضوي التام ما بين

¹ -نصر محمد عارف، في مفاهيم التنمية ومصطلحاته، (القاهرة:مجلة ديوان العرب، جوان 2008)، ص.08.

² - خالد مصطفى قاسم، إدارة البيئة والتنمية المستدامة في ظل العولمة المعاصرة، (القاهرة:الدار الجامعية، 2010)، ص.19.

الاقتصاد والبيئة والمجتمع بحيث لا يمكن النظر إلى أي من هذه المكونات بشكل منفصل عن بعضها البعض.¹

لذا فإن دراسة البعد الاجتماعي للتنمية المستدامة في الجزائر خاصة في ظل انخفاض أسعار البترول يكشف لنا الانعكاسات السلبية على الجبهة الاجتماعية لانخفاض وتراجع سعر البترول في الأسواق العالمية دون مراعاة للاستدامة هذا المورد للأجيال المقبلة، مع العلم أن الجزائر من بين أهم الدول النامية التي تبنت التنمية المستدامة في كل خطاباتها وخاصة الاجتماعية بالاهتمام بالإنسان الذي يعتبر عماد التنمية واحد أهم مؤشراتنا. وحسب المختصين والخبراء فإن النظام الاجتماعي يكون مستديما اجتماعيا في حال حقق العدالة في إيصال الخدمات الاجتماعية كالصحة والتعليم إلى محتاجيها والمساواة في النوع الاجتماعي.²

فالتنمية بشكل عام تعتمد وترتكز إلى عديد من العناصر المحققة لأهدافها، ويأتي وعي المواطن وإدراكه لأهميتها وأهمية شراكته فيها، عنصرا فاعلا ومهما وإيجابيا لتحقيق تلك الأهداف، ويؤكد الباحثون والمهتمون بالشأن التنموي أن أحد أهم معوقات التنمية هو غياب الوعي بأهمية شراكة المواطن في معرفة أهداف التنمية، ويذهب البعض منهم إلى أهمية مشاركته في إعدادها وتحديد أهدافها ومخرجاتها ومتابعتها، بحيث يكون شريكا ورفيقا على أداؤها، وهو ما يضمن تحقيق التكامل التنموي بين أطراف المجتمع ومؤسساته العامة والخاصة والأهلية والأكاديمية والإعلامية.³

إن أكثر ما يلفت النظر في برنامج التنمية في كثير من دول العالم، هو غياب الشراكة المجتمعية في تحديد متطلبات وأهداف التنمية، خصوصا ما يتعلق

¹ - محمد عبد المطلب البكاء، "الديمقراطية وحقوق الإنسان الديمقراطية ودورها في تحقيق التنمية المستدامة- التنمية البشرية الإنسانية نموذجا"، مجلة الباحث الاعلامي، 2010، ص. 180.

² - نفس المرجع الأنف الذكر.

³ - إبراهيم العيسوي، التنمية في عالم متغير، (القاهرة: دار الشروق، 2003)، ص. 17-18.

بمتطلباتهم، ولهذا يصبح المواطن وفقاً لذلك عدواً للتنمية المستدامة، وفي أضعف الأمور معارضا لها وغير داعم أو حام لها، وخير مثال يمكن استحضاره ما نسمعه من كثير من المواطنين عن أي مشروع ينشأ لخدمتهم أنه "مال الدولة" أو "أصحاب الشكارة"، وهذه المصطلحات يعني عدم الاهتمام بهذا المشروع أو حمايته من العبث أو التخريب، حتى إن كانت تلك المشروعات هي لخدمتهم مباشرة مثل المستشفيات والمدارس والحدائق والطرق، ويعظم هذا الأثر السلبي غياب التوعية الإعلامية والمجتمعية لمثل هذه التصرفات غير المسؤولة التي تفقد المواطن هيئته¹.

إن وعي المواطن بأهمية دوره في تحقيق التنمية وحماية مكتسباتها سيعزز من الاستفادة من تلك المشروعات ويمد في عمرها الافتراضي لتقديم مزيد من الخدمات بشكل أفضل بدلاً من تخريبها والعبث فيها، وهنا تبرز أهمية الوعي المجتمعي وتعزيز الشعور بالمسؤولية المجتمعية لحماية المكتسبات الوطنية أو ما يمكن تسميته "حماية الأملاك العامة" من التخريب والعبث أو السرقة في بعض الأحيان، إن تزامن الاهتمام بتعزيز وتقوية دور المواطن في شراكة حقيقية مع صناعات استراتيجيات التنمية سيعزز إحساسه بمسؤوليته عن تنفيذها، ويقابل ذلك أهمية زرع ثقافة الوعي المجتمعي أو وعي المواطن بدوره في حماية قريته أو مدينته ووطنه من الإفساد².

ولعل توجيه المصطفى - عليه الصلاة والسلام - بأهمية النظافة بقوله "إمالة الأذى عن الطريق صدقة"، وقوله عليه - الصلاة والسلام - "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"، وغيرها من التوجيهات النبوية المؤكدة على أهمية الوعي والإدراك بحجم ونوع المسؤولية الملقاة على عاتق كل واحد منا من موقعه الذي

¹ - نفس المرجع الأنف الذكر.

² - سيدي محمد وليد، الدولة وإشكالية المواطنة - قراءة في مفهوم المواطنة العربية، (عمان: دار كنوز منشور والتوزيع، 2010)، ص. 231.

يعمل ويعيش فيه، وهي رسالة تحمل المسؤولية المشتركة على الكبير والصغير، الرجل والمرأة، المواطن والمقيم. إن وعي المواطن بمسؤوليته وإدراك المسؤول أهمية هذا الوعي، سيحقق المعادلة الأصعب المتمثلة في زرع الشراكة بين الواجب والمسؤولية، أو بمعنى آخر هو تعزيز مفهوم المواطنة السليمة الصالحة المنتجة التي تضمن ترابط جميع أطراف ومؤسسات المجتمع بعضها ببعض، وإحساس كل طرف بمتطلبات الآخر وأهمية عطائه وإنجازه، والعمل جميعا على حماية المنجزات وتحقيق استدامتها بما يضمن استفادة الجميع منها، خصوصا الأجيال القادمة، لأن ما نراه اليوم من حجم الإنفاق على مختلف المشروعات الإنسانية والمكانية، يتطلب جهد موازيا أو أكبر للتوعية وتعزيز الشراكة المجتمعية، وحماية وصيانة الأملاك العامة والخاصة.

ثانيا: فواعل التنمية المحلية في الجزائر

يشهد تكاثر المبادرات المتعددة والمتنوعة حاليا دعم من طرف الدولة التي تقوم بعدة وظائف في سياق الشراكة مع الأطراف الأخرى عن طريق إرساء العدالة وتكافؤ الفرص بين جميع المواطنين كونها صاحبة السلطة فهي تعمل على ممارسة القوة والمصلحة بين الفرقاء السياسيين والاجتماعيين والثقافيين كما أنها تولي اهتماما بتقديم الخدمات العامة للمواطنين وتهيئة المناخ للإبداع والحركة ودفع المواطن إلى التنمية البشرية¹ ومن ثم ضرورة التحرك على المستوى المحلي عن طريق فواعل التنمية المحلية وهم المنتخبين المحليين والمجتمع المدني والقطاع الخاص.

1) الجماعات المحلية: تتوفر هذه الأخيرة حاليا على امتيازات واسعة في مجال التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية من خلال الهيئات اللامركزية الإقليمية أي البلدية والولاية، فالمشاركة الفعلية للبلدية في مجال التنمية هو

¹ - الكايد زبير، الحكمانية: قضايا وتطبيقات، القاهرة: المنظمة العربية للتنمية الإدارية، 2003، ص. 81.

من أجل تنفيذ ما يخص انشغالات مواطنيها فهي القاعدة الأساسية للتنمية المحلية من أجل تخفيف الضغط على السلطات المركزية وارتباطها بالمواطنين من خلال المجالس المنتخبة وتمثيلها للدولة على مستوى المجلس القاعدي وبالتالي فهي ملزمة بالتكفل ببعض الأمور الأساسية لمواطنيها من خلال الصلاحيات المنوطة بها¹، كما أن للولاية الدور الأساسي في مجال التنمية المحلية ويتحدد دورها من خلال القوانين التنظيمية الخاصة بها وقد تحدد دورها من خلال قانون الولاية 09-90 الذي تحدث عن التعاون بين رئيس المجلس الشعبي الولائي والوالي عن طريق بناء جمعيات في الثقافة والرياضة والنظافة من أجل هيكلة المواطنين، وقد أكد قانون الولاية 07-12 في المادة 03 على مايلي: "تتوفر الولاية بصفها الجماعة الإقليمية اللامركزية على ميزانية خاصة بها لتمويل الأعمال والبرامج المصادق عليها في المجلس الشعبي الولائي ولا سيما تلك المتعلقة بما يأتي: التنمية المحلية ومساعدة البلديات، تغطية أعبائها تسييرها، المحافظة على أملاكها وترقيتها"².

(2) المجتمع المدني: يطلق هذا المصطلح على تجمعات وهيئات منظمة تحتل مركزا وسطا بين الدولة والأسرة وهو يستعمل تقريبا بما يفيد التعددية ومع أن المجتمع المدني قد يكون مجالاً للنشاط المنظم المستقل عن الدولة، ويعرف المجتمع المدني على أنه: "شبكة من التنظيمات التطوعية الحرة التي تملأ المجال العام بين الأسرة والدولة، وتعمل على تحقيق المصالح المادية والمعنوية لأفرادها والدفاع عن هذه المصالح، وذلك في إطار الالتزام بقيم ومعايير الاحترام ويرجع ازدياد قوة المجتمع المدني إلى انتشار النظام الديمقراطي ذلك إلى جانب عدم قدرة الدولة وحدها على سد احتياجات المجتمع مما أسفر عن

¹ - عمار بوضياف،، *الوجيز في القانون الإداري*، الجزائر: جسور للنشر والتوزيع، 2004، ص ص 213-215.

² - قانون الولاية رقم 07-12، المرجع السابق، الصادر في الجريدة الرسمية، ع: 12، بتاريخ 07 ربيع الأول عام 1433 الموافق ل 29 فيفري 2012 ص.09.

ظهور أهمية المجتمع المدني أو القطاع الثالث في المشاركة الفعلية في العملية التنموية .

ولقد ظهرت منظمات المجتمع المدني في الجزائر بشكل واضح خلال الفترة الممتدة ما بين أحداث أكتوبر 1988 و1995، حيث لم يعرف مفهوم المجتمع المدني هذا الشيعوع إلا خلال هذه الفترة، كما كان للأزمة الاقتصادية التي عرفتها الجزائر بداية من 1986 كان لها دور في نشأة المجتمع المدني الجزائري ترجع الانطلاقة الحقيقية لنشأته في الجزائر مع تأسيس اللجان والجمعيات لحماية لتأتي بعدها جمعيات مختلفة، التي كان لها أثر على الجماعات المحلية في تجسيد التنمية المحلية والتحولت الاقتصادية والسياسية وذلك من خلال التطرق إلى وظائف ومهام الوحدات المحلية وعلاقتها بالسلطة المركزية¹.

3) القطاع الخاص: تسعى العديد من الدول على تنمية القطاع الخاص المحلي وتشجيع الخوصصة وبناء المؤسسات الإقتصادية الحرة حيث يشمل القطاع الخاص كل المشاريع الخاصة غير المملوكة من الدولة في قطاعات الصناعة وغيرها، كما يقوم بوظائف أخرى كالبيئة والنظافة وتهيئة الإقليم²، حيث أن تحقيق التنمية المحلية يتطلب وضع إستراتيجية تقوم على الشراكة ذلك أنها بمثابة الخريطة الإقتصادية خاصة وأن القطاع الخاص يتميز بالقدرة على الإبتكار والتجديد وتقديم الخدمات بالصفات المطلوبة، فنمو القطاع العام منذ الاستقلال بصورة حصرية لم يمنع من تواجد نمو قطاع خاص محلي أو الخوصصة خاصيته الأساسية هو أنه تطوير ودعم التنمية تحت ظل الدولة وهيكلها الإدارية والاقتصادية لتنظيم الصفقات والامتيازات والرخص، ولم يقتصر القطاع الخاص بالدولة بل تعداه على المستوى المحلي حيث يرمي إلى

¹- بوجيت مليكة، ظاهرة المجتمع المدني في الجزائر:دراسة في الخلفيات، التفاعلات والأبعاد، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلاقات الدولية (الجزائر:كلية العلوم السياسية والإعلام، 1997)، ص.116.

²-حسن كريم، "مفهوم الحكم الصالح"، في: مجلة المستقبل العربي، السنة:27، ع:309 (بيروت:مركز دراسات الوحدة العربية، نوفمبر 2004) ص ص.64-66.

إصلاح أنظمة الحكم المحلي وذلك لما يمثله القطاع الخاص من الكفاءة الاقتصادية في استخدام الموارد عن طريق تصفية المؤسسات العاجزة وتحسين مقاييس الرقابة والتسيير وترشيد الدعم لها ومنحها جزء كبير من الصفقات العمومية¹، لذا يجب إحداث تعاون بين الفاعلين وتسريع الديناميكية المحلية الملاحظة داخل التراب الوطني عن طريق المساهمة الحقيقية في حل المشاكل على المستوى المحلي في مجال التنمية، وقد اثبتت الواقع الميداني طبيعة العلاقة بين هذه الأطراف تفسر فاعليتها ومشاركتها في التنمية المحلية لذا يجب ترسيخ قيم المشاركة الفعلية للجماعات المحلية والقطاع الخاص والمجتمع المدني في كل مجالات التنمية.

ثالثا: دور الجماعات المحلية في تحقيق التنمية المحلية

يعد الاقتصاد من أهم دعائم الدولة القوية لذا سعت الجزائر دوما لإصلاح نظامها الاقتصادي وتطويره بدءا من المركز، إلا أن النظام المركزي لوحده لم يكن كافيا لخروجها من قوقعتها نظرا لتراكم الأعمال والضغط الحاصل في القمة في حين معاناة عدد كبير من الولايات والبلديات خاصة المنعزلة والنائية، فأصبحت بذلك الحاجة الماسة لنظام لامركزي يأخذ بعين الاعتبار كل التراب الوطني لتحقيق التوازن بين مختلف الوحدات المحلية وتنميتها باعتبار التنمية المحلية لا يمكن أن تتحقق إلا بالانطلاق من الأساس والقاعدة المحلية وبالتحديد من البلدية لأنه من دون الجماعات المحلية لا يمكن تحقيق نجاح السياسات الوطنية المسطرة من طرف الدولة، الأمر الذي أدى بالسلطات المعنية إلى تسيير برامج من أجل تجسيد هذه التنمية المحلية على أرض الواقع على مختلف المستويات المركزية القطاعية، الولائية، البلدية وهذه الأخيرة اتخذت وسيلة مهمة ساعدت مختلف البلديات والولايات على التخلص من ضعفها وقلة مرافقها أو على الأقل

¹ - باديس بن عيشة، " في نشأة الدولة والاقتصاد في الجزائر: أي مقارنة للتحليل؟"، في: مجلة الباحث، ع: 03 (الجزائر، جامعة ورقلة، 2004) ص ص 142-143.

التخفيف من ضعفها وذلك من خلال المخطط البلدي للتنمية الذي يعتبر الوسيلة المنهجية للترقية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وذلك من خلال ما تضمنته من مشاريع تمس مختلف هذه المجالات وقد جاءت مختلف القوانين بمنح الجماعات المحلية دورا هاما في تحقيق التنمية من خلال مشاركتها في المشاريع التنموية سواء من ناحية اختيارها أو تقييمها أو تنفيذها بعد معرفة متطلبات البلدية والولاية ككل وخصوصياتهما لذلك فإن أهمية مبدأ

النظام الإداري اللامركزي تتأتى من منحه وتفويضه الصلاحيات الواسعة للحكومات المحلية في المحافظات والأقاليم المحلية من أجل إدارة الموارد الاقتصادية والمالية المحلية من قبل المواطنين المحليين وإعطائهم الدور الأساس في التنمية المحلية، فهم أعرف إلى احتياجاتهم، لذا فإن عملية التنمية الاقتصادية المحلية والتخطيط تستمر بطريقة المشاركة بعيدا عن التهميش من قبل الحكومة المركزية كما كان أي من الأسفل إلى الأعلى، بمعنى تعاون الحكومات المحلية مع الحكومة الاتحادية التي بدورها تأخذ بنظر الاعتبار تلك المحليات وتعيد ترجمتها إلى أرقام في خطة التنمية الوطنية ومن ثم يتحمل السكان المحليون مسؤولية مواجهة المشاكل المحلية والعمل على حلها فالسعي وراء تحقيق تنمية محلية من خلال تقوية اللامركزية يحتم على الجزائر إعادة النظر في الطرح المؤسسي تماشيا مع التحديات الجديدة والمشاكل المختلفة التي تعاني منها كل المجالات فيها وأيضا التغييرات التي شاهدها الدولة، فمن خلال هذا يمكن القول إن التسيير الفعال المحلي لن يعرف تطبيقاته إلا من خلال إصلاح مؤسسي الذي يؤخذ بعين الاعتبار الجوانب الإدارية والمنطق الاقتصادي التي تجعل القرارات المتخذة تخلق مشاريع التنمية سواء في الآجال القصيرة، متوسطة أو الطويلة حسب ما تقتضيه الحاجة وفي التنظيم الإداري الجزائري والذي وإن نجده منبثق ومشتق من التنظيم الفرنسي والموروث عنه إلا أنه لا يعطي للجهوية أو الجماعات المحلية نفس الأهمية رغم أن الواقع الإقليمي التاريخي، الاجتماعي، الاقتصادي،

والثقافي. خاصة لا يمكن تجاهله، حيث إذا ما تم تشجيع تفعيل اللامركزية لابد
إذن من تقوية عدم التركيز أي الجهة والتي بواسطتها لن تكون اللامركزية مجبرة
كل مرة إلى العودة السلطة المركزية لمعالجة المشاكل المحلية أو الإقليمية فهي
تساعدها وتسهل مهامها باتخاذ القرارات ووضع حلول تتناسب مع كل إقليم.

كما أن التنظيم الإداري يتطلب تدعيم اللامركزية لتحقيق التنمية المحلية وإعادة
النظر في طرق تسييرها ومنحها أكثر استقلالية عن طريق توفير عناصر
الاستقلالية، وهذه الأخيرة تجعلها أكثر مسؤولية في جميع الأعمال التي تقوم بها،
والاهتمام بعدم التركيز ووضع الجهوية كقاعدة أساسية في التطوير، لذا فإن
عملية التنمية الاقتصادية المحلية والتخطيط تستمر بطريقة المشاركة بعيداً عن
التمهيش من قبل الاجتماعي والثقافي بخلق تصور جديد يجعل الجماعات المحلية
كجهاز مخصص لتوفير عناصر الدولة الحديثة ومنها اللامركزية، الديمقراطية،
التفويض ومبدأ التخصص، وتجدر الإشارة أن التنمية المحلية في الجزائر أخذت
اتجاهين الأول كان في ظل نظام التخطيط والاتجاه الثاني كان بعد 1990 أي بعد
صدور قانون الولاية والبلدية ويتمثل في البرامج القطاعية غير الممركزة "P.S.D"
المسند أمرتسييرها إلى الولايات، والبرامج البلدية للتنمية "P.C.D" المسند أمرها إلى
البلدية حيث مرت التنمية المحلية بعدة تطورات بدءاً من:

1- مرحلة التخطيط بين 1967 إلى 1989: حيث انصبت هذه المرحلة تطبيق
مجموعة من المخططات ذات البعد الزمني وهي المخطط الثلاثي والمخطط
الرباعي، والمخطط الخماسي الأول والثاني وشملت هذه المخططات القطاع
المنتج وقطاع الخدمات وقطاع البنية الأساسية هذه القطاعات الثلاثة
تضمنت برامج ذات بعد وطني وبرامج قطاعية غير ممركرة اسند تسييرها إلى
الإدارة المحلية ذات البعد الإقليمي لكنه كانت غير مسائرة للأوضاع
الاقتصادية وتم تمهيش المشاركة الشعبية والقطاع الخاص في عملية التنمية
مما أدى إلى نقص الكفاءة والفعالية.

2- مرحلة اقتصاد السوق ما بعد 1990: عرفت الجزائر تحولات اقتصادية واجتماعية وسياسية كبيرة ولهذا طبقت مجموعة من الإصلاحات منها مرحلة التثبيت الهيكلي سنة 1994-1995 ثم مرحلة التصحيح الهيكلي 1995-1998 وتلتها مرحلة الإنعاش الاقتصادي الأول والثاني ونستطيع القول انه بعد عودة الاستقرار السياسي والأمني بدرجة كبيرة بعد سنة 1997 شرعت الجزائر في تطبيق مجموعة من البرامج التنموية منها برنامج الإنعاش الاقتصادي 2001-2004 ثم برنامج دعم النمو 2005-2009 للبرامج المحلية¹.

إن إستراتيجية التنمية في الجزائر حاليا تندرج على المستوى الداخلي في الدعم أي اللامركزية الإدارية منطلقا بذلك من الجماعات المحلية حيث تدعم الدولة هذه البرامج التنموية الطموحة لتحقيق التنمية المحلية²، وظهر إلى جانب مصطلح التنمية الاقتصادية عدة مسميات كالتنمية الاجتماعية، والتنمية البشرية المستديمة، والتنمية الإنسانية وبرزت عدة مفاهيم تعنى بتحديد نطاق التنمية، من قبيل التنمية المحلية التي تستجيب إلى ما يحتاج إليه السكان، فضلا عن ضرورة إحياء مراكز محلية تستغل استغلالا أمثل الموارد الطبيعية والبشرية المحلية. وانطلاقا من كل هذه الاعتبارات وتماشيا مع الإصلاحات الشاملة التي أقرتها الحكومة الجزائرية، جاء القانون البلدية وقانون الولاية ليحدد مسارا جديدا في التنظيم الإداري المحلي وليواكب التحولات الدولية وتأثيراتها على وظائف الدولة ويتماشى مع التنمية المحلية التي تمثل الوحدة الأساسية خاصة إذا تعلق الأمر بالخدمة العمومية وتنفيذ السياسات العامة للدولة تحقيقا لتنمية المحلية

¹ - غريبي أحمد، "أبعاد التنمية المحلية وتحدياتها في الجزائر"، في: مجلة البحوث والدراسات العلمية، ع:04 (الجزائر:كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة المدية، أكتوبر 2010) ص ص120-122.
² - حاكمي بوحفص، "الإصلاحات والنمو في شمال إفريقيا دراسة مقارنة بين الجزائر، المغرب، تونس"، في : مجلة اقتصاديات شمال إفريقيا السداسي الثاني ع:7(2009) ص.15.

وتقديم الخدمات العامة، بالتركيز على البلدية والولاية، وهذا حسب النصوص القانونية¹.

تتجلى أهمية الهيئات المحلية في الدور الذي تلعبه في خدمة المواطن التنمية والتطوير فالهيئات المحلية تكون دائما على تماس يومي ومباشر مع كافة مناحي الحياة اليومية كما تعتبر مؤسسات الحكم المحلي، والبلديات بصورة خاصة فبالإضافة إلى كونها ركيزة أساسية للممارسة العملية السياسية على الصعيد المحلي للمجتمع، تقع عليها مسؤوليات وأعباء إدارية وخدمية رئيسية تطل مختلف مجالات الحياة المجتمعية، ولن تحقق التنمية المحلية بالصورة المطلوبة إلا إذا توفر هيكل للتمويل المحلي ينطوي على موارد مالية محلية وتقل فيه إعانة الدولة إلى أقل درجة ممكنة²، ومن هنا يتضح

دور الجماعات المحلية في التغيير الجذري الحاصل لإصلاح شامل وتنمية عاجلة من أجل ضمان تحولها إلى تنمية بين أقطار المنطقة وتعمل جاهدة في سبيل تذليل العقبات التي تقف في سبيله، ولعل إدراك الحكومة لمشكلات الجماعات المحلية وعجز مؤسساتها وأجهزتها ومشروعاتها يمثل المدخل النفسي والدافع المجتمعي من أجل خلق تغيير للوظيفة المحلية وتعديل توجهاتها لإدارة التنمية بين أقطار المنطقة لذلك لا بد من تقويم أداء الإدارة الراهنة في ضوء الحاجة المحلية التي تتطلبها إستراتيجية التنمية، تطبيقا للامركزية ومقتضيات تنمية الاقتصاد الوطني المخطط، هذا جعل الولاية والبلدية دعامتين للدولة من خلال تفويض مهام التنمية المحلية بشكل كامل في التنمية المحلية ذات العلاقة الاقتصادية والاجتماعية بالدولة المتدخلة، ولتطبيق مهامها، تتمتع الجماعات المحلية بوسائل

¹ - ناجي عبد النور، "دور الإدارة المحلية في تحقيق التنمية المحلية: تجربة البلدية الجزائرية"، في: مجلة النهضة، ع:4 (الجزائر: قسم العلوم السياسية، جامعة عنابة، أكتوبر 2009) ص.97-120.

² - عبد المطلب عبد الحميد، التمويل المحلي والتنمية المحلية، القاهرة:الدار الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، 2001. ص.19.

مالية تضمن لها السماح بتغطية نفقاتها للتسيير ونفقاتها للتجهيز والاستثمار¹، يمكن القول إن أغلب المهتمين يجمعون على أن التي لم يعد بالإمكان تأجيلها مكافحة الفساد من المسائل تحقيق التنمية. وأن خطوات جادة يجب أن تتخذ على جميع المستويات، ذلك أن مخاطر هذه المسألة وآثارها الضارة على مسيرة التنمية، أصبحت من القضايا الحساسة لذا يجب توسيع دائرة الشفافية والرقابة والمساءلة، مما يعني توسيع دائرة المشاركة الشعبية السياسية. والمضي على طريق إشاعة الأساليب الديمقراطية واستخدام الأساليب الإدارية الشفافة بتسليط الأضواء على "الفساد الكبير" في أعلى المواقع مع توفير الأجواء القانونية المناسبة، وضمان سلامة وعدالة أعمال الرقابة والتحقيق وإحداث إصلاح اقتصادي وإداري ومالي وقضائي. وهذا المحور لا يتعلق بمكافحة الفساد فقط، وإنما هو ضروري لعملية التنمية والخروج من دائرة الجمود والتخلف. واستخدام الأساليب العصرية في الإدارة، وإزالة أسباب الاختلالات الاقتصادية، وضمان سلامة الإجراءات القضائية، والقضاء على الروتين والبيروقراطية وإزالة العوائق أمام الاستثمار. ولا بد أن تراعى عملية الإصلاح وإعلاء شأن القيم والسلوك السوي لدى الأجيال الجديدة هذا ويتوقف النجاح في مكافحة الفساد على مجموعة من الشروط والظروف الموضوعية كل هذا يساعد على تحقيق تنمية شاملة وإصلاحية².

¹ - علي خليفة الكواري، نحو إستراتيجية بديلة لتنمية شاملة: الملامح العامة لإستراتيجية التنمية في إطار اتحاد أقطار مجلس التعاون وتكاملها مع بقية الأقطار العربية، ط.1، بيروت:مركز دراسات الوحدة العربية، 1985، ص.125.

² - منير الحمش، الإقتصاد السياسي:الفساد، الإصلاح والتنمية، دمشق:منشورات إتحاد الكتاب العرب، 2006، ص.64-65.

خاتمة:

إن وعي المواطن المحقق لأهداف التنمية المستدامة، مسؤولية عظيمة تتطلب الالتفات لها، وهذا العمل يجب ألا يتأخر في تنفيذه، خصوصاً مع المتغيرات المحلية والإقليمية والدولية التي تحيط بنا، والتأثير الإعلامي الدافع نحو السلبية والإحباط وعدم المبالاة، وهو ما يؤدي إلى مزيد من الفجوة بين المواطن والمسؤول، ويعزز من مفهوم التنمية السلبية أو ما يسمى التنمية الرعوية، التي يتوقع طرف من الطرف الآخر أن يقدم له كل شيء وهو لن يقدم أي شيء، وهذا ما يحذر منه المختصون بالشأن التنموي. إن تعزيز دور المواطن في صناعة التنمية المستدامة والعمل على توعيته ومشاركته في إعدادها وتنفيذها وحمايتها، لم يعد ترفاً فكرياً، إنما واجب وطني تأخيره لا يحمل الخير لهذا الوطن.

قائمة المراجع:

- القوانين والمراسيم:
- 1- قانون الولاية رقم 07-12، المرجع السابق، الصادر في الجريدة الرسمية، ع:12، بتاريخ 07 ربيع الأول عام 1433 الموافق ل 29 فيفري 2012.
- الكتب:
- 2- الكايد زبير، الحكمانية: قضايا وتطبيقات، القاهرة: المنظمة العربية للتنمية الإدارية، 2003
- 3- ابراهيم العيسوي، التنمية في عالم متغير، القاهرة: دار الشروق، 2003.
- 4- سيدي محمد وليد، الدولة وإشكالية المواطنة - قراءة في مفهوم المواطنة العربية، عمان: دار كنوز لمنشر والتوزيع، 2010.
- 5- خالد مصطفى قاسم، إدارة البيئة والتنمية المستدامة في ظل العولمة المعاصرة، القاهرة: الدار الجامعية، 2010.
- 6- عمار بوضياف، الوجيز في القانون الإداري، الجزائر: جسر للنشر والتوزيع، 2004.

- 7- عبد المطلب عبد الحميد، التمويل المحلي والتنمية المحلية، القاهرة:الدار الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، 2001. ص.19.
- 8- علي خليفة الكواري، نحو إستراتيجية بديلة لتنمية شاملة: الملامح العامة لإستراتيجية التنمية في إطار اتحاد أقطار مجلس التعاون وتكاملها مع بقية الأقطار العربية، ط.1، بيروت:مركز دراسات الوحدة العربية، 1985.
- 9- منير الحمش، الإقتصاد السياسي:الفساد، الإصلاح والتنمية، دمشق:منشورات إتحاد الكتاب العرب، 2006.
- 10- نصر محمد عارف، في مفاهيم التنمية ومصطلحاته، القاهرة:مجلة ديوان العرب، جوان 2008.

- المجالات والدوريات:

- 11- باديس بن عيشة، " في نشأة الدولة والاقتصاد في الجزائر:أي مقارنة للتحليل؟"، في: مجلة الباحث، ع:03، الجزائر، جامعة ورقلة، 2004.
- 12- حسن كريم، "مفهوم الحكم الصالح"، في: مجلة المستقبل العربي، السنة:27، ع:309، بيروت:مركز دراسات الوحدة العربية، نوفمبر 2004.
- 13- حاكمي بوحفص، "الإصلاحات والنمو في شمال إفريقيا دراسة مقارنة بين الجزائر، المغرب، تونس"، في: مجلة اقتصاديات شمال إفريقيا السداسي الثاني ع:7(2009) ص.15.
- 14- غربي أحمد، "أبعاد التنمية المحلية وتحدياتها في الجزائر"، في: مجلة البحوث والدراسات العلمية، ع:04، الجزائر:كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة المدينة، أكتوبر 2010.
- 15- محمد عبد المطلب البكاء، "الديمقراطية وحقوق الإنسان الديمقراطية ودورهما في تحقيق التنمية المستدامة- التنمية البشرية الإنسانية نموذجا"، مجلة الباحث الاعلامي، 2010.
- 16- ناجي عبد النور، " دور الإدارة المحلية في تحقيق التنمية المحلية:تجربة البلدية الجزائرية"، في: مجلة النهضة، ع:4، الجزائر: قسم العلوم السياسية، جامعة عنابة، أكتوبر 2009.

- المواد غير المنشورة:

17- بوجيت مليكة، ظاهرة المجتمع المدني في الجزائر: دراسة في الخلفيات، التفاعلات والأبعاد، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلاقات الدولية (الجزائر: كلية العلوم السياسية والإعلام، 1997).

انسانيات

الفكر العربي المغربي عند أجبيري بين أزمت أحداث وكيفية قراءة التراث

أودينة خالد

أستاذ مساعد قسم أ. جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة

مقدمة:

يمكن القول أن الحضارة العربية الإسلامية قد عرفت تقدما ملموسا ونهضة واسعة في كل المجالات، كما عرف عنها وما كان ذلك ليتحقق لولا تداخل العوامل الداخلية والخارجية، على المستوى الفكري والديني والسياسي..الخ، وما التراث الفلسفي العربي الإسلامي إلا أحد الإفرازات الناتجة عن الاحتكاك الإنساني التاريخي والاجتماعي الثقافي الفكري والحضاري، ويعتبر الفكر العربي المغربي على وجه الخصوص فكرا ليس معزولا بل هو مرتبط بالتراث الفكري الإنساني، ومتأثر كذلك بالتراث الإسلامي، لذلك من الضروري إذا أردنا معرفة تراثنا المغربي معرفة معمقة وهادفة وواعية بإشكالية بلورته وتطويره وتجديده.

وتظل مشكلة التراث والحداثة قضية راهنة طرحت ابتداء من القرن التاسع عشر، ولا تزال إلى يومنا هذا تنازع فكر الطبقة المثقفة، لأن التراث يمثل الرمز الممثل للهوية والمحافظ عليها من أي خطر يهددها ويريد طمسها، لكن ما شهده القرن العشرين من محاولات للعودة إلى التراث وإحيائه فاق ما كان متداولاً، فقد أصبح حلما يراود الكل، وتباينت القراءات والآراء بين مسترجع له للاستفادة منه، وبين عائد إليه لتعويض النقص الذي اعترى الحاضر العربي، وعجزه عن بناء تصور للمستقبل، فيما رأى البعض الآخر أنه سبب الكوارث التي يمر بها العالم العربي.

وفي سياق ذي صلة عرف الفكر الفلسفي في المغرب خلال الربع الأخير من القرن العشرين انتعاشاً كبيراً يمكن التأكيد منه عن طريق تبيان ملامحه العامة من خلال الآثار الفكرية المتعددة ذات الطبيعة الفلسفية، كفكر عبد الله العروي الذي عمل على بلورة مشروع فكري مرتبط بأسئلة تاريخ الفلسفة وربطها باللحظة التاريخية المغربية في أبعادها المختلفة، وطه عبد الرحمن المتميز في فكره الذي يحمل قصدية واضحة وقراءة عقلانية عملية وصوفية معقلنة، لكن أخص بالحديث عن أبحاث محمد عابد الجابري (1935.2010) التي ساهمت في مجال نقد العقل العربي في بناء جملة من المواقف في موضوع نقد التراث العربي الإسلامي، وهذا ما جعل الفكر الفلسفي المغربي يتبوأ مكانة خاصة في الفكر العربي المعاصر.

ومن منطلق أن الفكر لا ينشأ من فراغ بل متكئ على تراث تاريخي حضاري فكري مختلف من المطلوب قراءته وتفسيره وفق الشروط الملائمة للقارئ، وأكد أن التراث لا يسلم أيضاً من التباس واستشكال وقد اختلف فيه المختلفون اختلافاً مذهبياً وإيديولوجياً، وعلى رأسهم الجابري، وفي ظل هذا يمكن التساؤل: لماذا يلح علينا هاجس التراث هذا الإلحاح المؤرق والذي يكاد يجعلنا أمة فريدة في تعلقها بحبال الماضي؟ أليس التراث هو الذي لم يكتب بعد؟ وكيف يمكن بعث الحياة في التراث لجعل العقل العربي قادراً على التجديد. الحداثة؟

وهدفنا من وراء هذا البحث والوقوف على رؤية الجابري التي عملت على إشاعة مواقف وتصورات تاريخية عقلانية ونقدية، وفتح باب الاجتهاد والبحث عن حلول لمشاكل التي يتخبط فيها الوطن العربي، ومحاولة التفكيك فيه، أي التفكيك في سؤال الحداثة في الفكر العربي المعاصر.

أولاً: ضبط مفهوم التراث والحداثة:

أ. تعريف التراث ومستوياته:1. معنى التراث: يعرف من الناحية اللغوية كما ورد في لسان العرب لابن منظور بأنه: "ورث، الوارث، صفة من صفات الله عز وجل، وهو الباقي الذي يرث الخلائق... والورث والإرث، والتراث والميراث، وقيل أن الورث والميراث في المال والإرث في الحسب"¹.

أما من الناحية الاصطلاحية: فالتراث هو كل ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة، فهو إذن قضية موروث، ويعتبر نقطة البداية لمسؤولية ثقافية وقومية، وما التجديد إلا إعادة تفسير التراث طبقاً لحاجات العصر، فالتراث هو الوسيلة التي تؤدي إلى غاية التجديد، للمساهمة في تطوير الواقع وحل مشكلاته، والقضاء على أسباب معوقاته، وفتح مغاليقه. والتراث ليس قيمة في ذاته إلا بقدر ما يعطي من نظرية علمية في تفسير الواقع والعمل على تطويره، فهو ليس متحفاً للأفكار نفخر بها وننظر إليها بإعجاب ونقف أمامها في انبهار، بل هو نظرية للعمل وموجه للسلوك².

ويعتبر التراث نتاج بشري يعبر عن كينونة الذات ضمن شروط تاريخية أسهمت في تشكيل خصوصيات الأفراد الذين أنجزوا بفعل الإبداع رؤيتهم الخاصة للوجود، وهو إن كان ثابتاً لدى منتجيه فهو متحول في الأزمنة والعصور، يحتمل الإضافة والتطوير بفعل القراءة الواعية لهذه الأنساق³. كما يعرف بأنه كل ما ورثناه تاريخياً عن أسلافنا الذين هم الأمة البشرية التي نحن امتداد طبيعي لها⁴.

¹ ابن منظور: لسان العرب المحيط، قدمه: الشيخ عبد الله العلابي، دار الجيل، بيروت، 1988، ص 907.

² حسن حنفي: التراث ولتجديد، موقفنا من التراث، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط 4، 1992، ص 13.

³ عبد الغني بارة: الهميمنيوطيقا والفلسفة، ط 1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008، ص 563.

⁴ جابر عصفور: هوامش على دفتر التنوير، ط 1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1994، ص 22.

ويعرفه الجابري: " بأنه كل ما هو حاضر فينا أو معنا من الماضي سواء ماضينا أو ماضي غيرنا القريب منه والبعيد". فالتراث بمفهوم الجابري هو ذلك الكل من الماضي الذي يحضر فينا، فيشكلنا مما يجعل منه جزءاً من حاضرنا يرافقتنا في بناء المستقبل، وهو لا يقصره على الأنا فقط بل يتعداه إلى الآخر، سواء كان الغرب أم تراث الأمم الأخرى من الشرقيين، والتي كان لها دور كبير في بناء الحضارة العربية قديماً¹، وحسب الجابري لم يرد لفظ التراث في الفكر العربي القديم، وإنما ارتبط ظهوره عند النهضة العربية، وهو عبارة عن الموروث الثقافي والفكري والديني والفني، أي ليس مجرد تركة يرثها الفرد². وعموماً فالتراث هو جملة ما خلفه السلف للخلف من أمور مادية ومعنوية، سواء كانت إنتاجاً فكرياً وحضارياً.

2 مستويات التراث: يوجد عدة مستويات من التراث:

أ. تراث موجود في المكتبات والمخازن والدور، فهو تراث مكتوب ومخطوط، وتكثر الدعايات لنشره، وواحيائه واختيار ما وافق هوى العصر دون متطلباته. لكن التراث ليس مخزوناً مادياً فحسب، ليس موجوداً صورياً له استقلال عن الواقع الذي نشأ فيه، بل هو تراث يعبر عن الواقع الأول الذي هو جزء من مكوناته الذي يهدف إلى تطويره. حيث يقول حسن حنفي: "لما كان التراث إذن ليس مخزوناً مادياً في المكتبات، وليس كيانه نظرياً مستقلاً بذاته، فالأول وجود على المستوى المادي والثاني وجود على المستوى الصوري، فإن التراث في الحقيقة مخزون نفسي عند الجماهير"⁷.

ادن التراث مازال قيمة حية في وجدان العصر يمكن أن يؤثر فيه، ويكون باعثاً على السلوك، وتجديد التراث قضية واقعية ورؤية صائبة للواقع، فالتراث جزء من مكونات الواقع وليس دفاعاً عن موروث قديم. وتجديد التراث هو إطلاق

¹ الجابري: التراث والحداثة، دراسات ومناقشات، ط2 مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999، ص13.

² المرجع نفسه، ص23.

لطاقات مخزنة عند الجماهير بدلا من وجود التراث كمصدر لطاقة مخزنة، لا تستعمل أو تصرف بطرق غير سوية على دفعات عشوائية في سلوك قائم على التعصب أو الجهل أو الحمية الدينية، والإيمان الأعشى، أو يستعملها أنصار تثبيت الأوضاع القائمة لحسابهم الخاص من أجل الدفاع عن الثبات الاجتماعي.

وتجديد التراث هو حل لتلاسم القديم وللعقد الموروثة، وقضاء على معوقات التطور والتنمية والتمهيد لكل تغير جذري للواقع. وتحليل لعقليتنا المعاصرة هو في نفس الوقت تحليل للتراث لما كان التراث القديم مكونا رئيسيا لعقليتنا المعاصرة، ومن ثم يسهل علينا رؤية الحاضر في الماضي، ورؤية الماضي في الحاضر مما يجعل الفكر حدثا مسيرا لروح العصر ومتغيراته.⁸ ومن هنا نتساءل ما معنى الحداثة ما خصائصها؟

ب. معنى الحداثة وخصائصها:

1. معنى الحداثة: يمكن أن نعرفها من الناحية اللغوية ورد هذا اللفظ في المعجم العربية القديمة بمعنى أنها نقيض للقديم، حيث يقول أبو الخليل الفراهيدي: "الحديث هو الجديد من لأشياء"⁹.

ويرد المصطلح في لسان العرب لابن منظور: "بأن الحديث نقيض القديم، والحدوث نقيض القدامة، حدث الشيء يحدث حدوثا وحداثة وأحدثه، فهو محدث وحديث وكذلك أستحدثه"¹⁰.

أما اصطلاحا: أما في المعجم الفلسفي لجميل صليبا فينطلق من تعريف الحداثة وتثبيت مقوماتها من منطلق الاعتبارات النقدية العربية للحداثة ورؤيتها للقديم والحديث، في ظل شروط الحداثة العربية التي ترى أن الحديث ليس خيرا كلهن والقديم ليس شرا كله، وخير وسيلة للجمع بين محاسن القديم والحديث أن يتصف أصحاب الحديث بالأصالة والعراقة والقوة والابتكار وان يتخلى أصحاب القديم عن كل ما لا يوافق روح العصر من التقاليد البالية والأساليب الجامدة.¹¹

فقد تعدد تعريفها، فعند بعضهم عبارة عن حقيقة تاريخية متواصلة، ابتدأت في أقطار الغرب ثم انتقلت أثارها إلى العالم بأسره، بدء من القرن 16 م بفضل حركة النهضة والإصلاح الديني...الخ.

وهناك من قال: "أن الحداثة هي النهوض بأسباب العقل والتقدم والتحرر"، أو هي ممارسة السيادة الثلاث عن طريق العلم التقنية. السيادة على لطبيعة وعلى المجتمع والذات، كما نجد من يقصرها على مجرد قطع الصلة بالتراث، أو أنها طلب الجديد، أو أنها الديمقراطية، أو العلمانية، وفي هذا يقول طه عبد الرحمن: "أما هذا التعدد أو التردد في المفاهيم الخاصة بالحداثة، فلا عجب أن يقال كذلك إنها مشروع غير مكتمل"¹². وبما أن التعريف المنطقي هو الذي يتم بذكر خصائصه الأساسية المميزة له، فإن الحداثة تتميز بخصائص أساسية، فما هي؟

2. خصائص الحداثة: يميز طه عبد الرحمن من أجل ضبط مفهوم الحداثة بين روح الحداثة وواقعها، حيث يقر أن خصائص روح الحداثة تظهر وتقوم على مبادئ والتي يفترض على الواقع الحداثي تحقيقها، وهي:

أ. مبدأ الرشد: فالأصل في الحداثة هو الانتقال من حال القصور أو التبعية للغير إلى حالة الرشد أو الاستقلال من أجل إثبات ذاته، لأن: "الإنسان الراشد مطلق الحركة قوي الذات"، وكذا الإبداع وإنشاء قيم جديدة.

ب. مبدأ النقد: وهو أصل الحداثة أي الانتقال من حال الاعتقاد إلى حال الانتقاد، ويقوم على ركنين:

. العقلنة: إخضاع كل الظواهر إلى مبادئ عقلية، والتفريق: أي نقل الشيء من صفة التجانس إلى التباين، وتميزت الحداثة بهذا التفصيل في مختلف أشكال الحياة الجماعية والفردية بمختلف مجالاتها.

ج . مبدأ الشمول: إن الحداثة هي الخروج من حال الخصوصية إلى الشمول، فالشمول الحداثي عبارة عن تجاوز لهذه الخصوصية بنوعها، أي خصوصية المجال والمجتمع، ويجب أن يبنى على ركنين هما: التوسع بحيث لا يجب حصر الحداثة في مجال أو مجالات. والتعميم: أي عدم إبقاء الحداثة حبيسة المجتمع الذي نشأت فيه بل يجب نقل ما صنعته من منتجات عالية إلى بقية المجتمعات، وبالتالي فتح عهد جديد في الحداثة هو عهد العولمة، حيث يقول طه عبد الرحمن: "فخصائص الروح الحداثية هي أنها روح راشدة وناقدة وشاملة"¹³.

وكخلاصة نقول أن الحداثة سؤال لا ينقطع وهو دائم البحث عن الأفاق التي تجعله متجددا، منطلقا من مكان لآخر رافضا الانغلاق الذي يبقيه حبيس نفسه منفتحا حيث يجد الحرية التي تبقيه مغامرا لا يأبه بالملاقات التي ويساير روح العصر ملبيا لمتطلبات الواقع المتغير.

ثانيا: قراءة التراث ومنهجه عند الجابري:

أ. عوائق القراءة الحداثية للتراث وشروط تجاوزها:

1. أزمة التحديث أو الإبداع: الملاحظ أن الفكر العربي الحديث والمعاصر لم يسجل أي تقدم في أية قضية من قضاياها كخطاب يبشر بالنهضة، وهذا راجع إلى وجود عوامل جعلت زمن الفكر العربي زمنا ميتا يعاني أزمة إبداع، تظهر في:

أ. أنه فكر محكوم بقالب أو براديفم السلف، والذي يشكل الإطار المرجعي لكل الاتجاهات الفكرية، فبه يفكر وعليه يقيس.. الخ، ومنه فهو الذي: "يغذي عوائق التقدم والإبداع في الفكر العربي،...ويجعل الذاكرة . السلف . وبالتالي العاطفة واللاعقل تنوب فيه عن العقل"¹⁵.

ب . كما أن المفاهيم العربية غير محددة في الخطاب العربي، أي لا تحيل إلى شيء واضح ومحدد في الواقع العربي، فالعلاقات المنطقية في الخطاب غير مضبوطة،

تنوب عن بعضها وتتحول إلى بدائل خطابية كلامية بدل أن تكون تعبر عن معطيات واقعية، أي أنه لا يستطيع أن يفكر في موضوعه إلا من خلال ما ينقله عن الآخر الماضي أو الآخر الغرب، ولهذا فهو وعي مستلب مزيف، وعي لا يضع حلمه موضع القابل للتحقيق من خلال الشروط التي ترجح تحقيقه. ومنه يؤدي بالفكر العربي إلى عدم الاستقلال التاريخي.

ج . إضافة إلى ذلك كونه فكرا إشكاليا ماورائيا يتعامل مع الممكنات الذهنية كمعطيات واقعية ويكرس خطاب اللاعقل في مملكة العقل. حيث يقول الجابري في مقدمة كتابه: "تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة": " نحن هنا في الوطن العربي مازلنا متخلفين عن ركب الفكر العلمي تقنية وتفكيراً، وما زالت الدراسات الفلسفية عندنا منشغلة بالأراء الميتافيزيقية أكثر من اهتمامها بقضايا العلم والمعرفة والتكنولوجيا، والتي انعكست أثره على جامعاتنا ومناخنا الثقافي العام، هذا في وقت نحن فيه في أحوج ما نكون إلى تحديث العقل العربي وتحديث الذهنية العربية"¹⁶.

يؤكد الجابري أن المهمة الأولى المطروحة على الفكر العربي هو تحقيق الاستقلال التاريخي للذات العربية، وليس من سبيل لذلك إلا بالتححر أولاً من سلطة النموذج السلف وآليات التفكير التي يكرسها وتكرسه في آن واحد¹⁷. لكن كيف يمكن تجاوز هذه الأزمة أو الفكر الشاذ للوصول إلى الفكر الحدائي السوي؟

2. شروط تجاوز الأزمة: لا يمكن تجاوز الأزمة إلا وفق الطرق التالية:

. يجب إعادة بناء الحاضر، وذلك انطلاقاً من عملية إعادة بناء الماضي، بتفكيك عناصره وإعادة ترتيب العلاقة بين أجزائه بصورة تجعله كلا جديدا قادراً على أن يؤسس نهضة. مرهونة بانطلاقها من تراث تعيد بناءه قصد تجاوزه، ومن الخطأ الجسيم الاعتقاد في أن الذات العربية يمكن أن تنهض بالرجوع إلى الماضي، واختبار ما يصلح منه. كما أنه من الخطأ الاعتقاد أن هذه الذات يمكن أن تتقدم

بالإعراض الكلي عن ماضيها والانتظام في تراث غير تراثها أو الارتقاء في حاضر يتقدمها بمسافات شاسعة.

. يجب تعميم المعرفة الضرورية باللغات الأجنبية الحية بين المثقفين في المدارس والجامعات، لأن الضعف في اللغات الأجنبية يؤدي بالطالب إلى عدم قدرته على مواكبة التقدم العلمي، ومنه الاهتمام بوضع التعليم في الوطن العربي كما وكيفا، وعدم استنساخ نماذج غربية غريبة عن الوطن العربي.

. العمل على قراءة تراثنا قراءة نقدية معاصرة باختيار المناهج والمفاهيم الجديدة ونوظفها في خدمته، مع العمل على نشر المعرفة العلمية على أوسع نطاق، وهنا نقصد فلسفة العلم لا العلم ذاته، أي المفاهيم وطرائق التفكير المؤسسة لكل معرفة علمية على أوسع نطاق، في المعاهد والكليات، بحيث يمكن أن نرتفع بطلابنا إلى المستوى الذي يمكنهم من أن يعيشوا عصرهم عصر العلم والتكنولوجيا، بكل ما يطرحه من مشاكل نظرية وعملية، ويساهموا في تشييد حضارة عربية في مستوى حضارة العصر علما وعملا.

. كما يجب أيضا وضع إستراتيجيات شاملة من أجل التعامل مع الماضي والحاضر، ولكن لا توضع من طرف الحكومات، بل من طرف نخبة تحمل هم الحاضر والمستقبل.

. والاهم هو قيام نخبة أنتلجنسيا عربية جديدة، تقوم بمحاولة تجديد التراث العربي من الداخل، ودخولها في الفكر العالمي المعاصر ومواكبتها له قصد توظيف أدواته ورؤاه العلمية في إعادة بناء الماضي وتغيير الحاضر وتشييد المستقبل¹⁸.

يرى أن التراث حاضر فينا ومعنا، فإن الاهتمام به ما هو إلا اهتمام بالإنسان نفسه، فالتراث عنده ضروري لفهم الحاضر، ومادام كذلك فلا بد من أن يكون التعامل معه وفق شروط علمية، كالتزام الموضوعية¹⁹ والمعقولية²⁰. ويعتمد الجابري في هذا على منهج تحليلي ينطلق فيه من النظر إلى موضوعاته لا بوصفها

مجرد مركبات، بل عبارة عن بنى: "أي تفكيك الثابت في كل بنية ليتحول إلى متغير"²¹.

وكخلاصة: فإن التعامل مع التراث بموضوعية وعقلانية هي توفيق بين الحداثة والتراث، أي التعامل مع التراث بآليات حديثة، والدفاع عن الحداثة من مدخل نقد التراث، وهو مشروع متطلع لتمثل أسس المعاصرة دون إتباع أو تقليد، ومعناه أن القراءة المعاصرة للتراث هو جعل النص التراثي معاصراً لنفسه في إطاره الإبستيمولوجيوالسوسيوثقافي، وكذا ربطه بنا على صعيد الفهم والمعقولية، ولا يجب الارتباط بالقديم فقط ولا الانصراف مع الغير، بل تكمن في كسر قيود التقليد وقطع خيوط التبعية". ولكن السؤال المطروح كيف يتم قراءة التراث بآليات حديثة؟

ب . كيفية قراءة التراث: إن الحل عند الجابري كما هو عند أركون: " يكمن في توليد فكر نقدي جديد عن التراث في الساحة العربية والإسلامية، بحيث يعاد كتابة تاريخنا الثقافي بصورة عقلانية وبروح نقدية، لأنه من خلال ممارسة العقلانية النقدية في تراثنا نكتسب عقلانية ستكون هي التربة الصالحة الغنية الخصبة"²²، وهذا يجب التخلص من النظرة المفاخرة بالتراث والانطواء على الذات، كآلية دفاعية نلجأ إليها لمواجهة الواقع الذي يربنا، والشعور بالدونية أمام الذي بلغ الرقي والسيادة.

ولهذا كان الحل هو الروح النقدية التي ارتبطت عند الجابري بالعقلانية، والعودة إلى الماضي لإحياء التراث والذهاب إليه حيث هو، لا لإحضاره ليساهم في حل الأزمات وما أكثرها، ويكون الناتج هو التراث نفسه، أو كما قال الجابري: " الفهم التراثي للتراث"، فهاجم هذا التيار، والذي غالباً ما يطلق عليه صفة السلفي، فكل قراءة تحاول أنتسائه تتهم بالبدعة والكفر من طرفهم، ذلك لأن الهالة القدسية المرتبطة بالقرآن باعتباره نصاً مقدساً انتقلت إلى التراث البشري بما فيها

النصوص التي نتجت عن شرح الأصل، وفي هذا وقع الخلط بين التراث والدين، فلم يتوقف أحد للفصل بين التراث البشري والدين السماوي، ليؤكد أن التراث كله، كما هو بالفعل جهد بشري قابل للتقييم المحايد. ولهذا فإن ما يؤاخذ به الجابري على التيار السلفي المحافظ هو أنه حول الوسيلة إلى غاية: "فالماضي الذي أعيد بناؤه بسرعة قصد الارتكاز عليه للنهوض أصبح هو نفسه مشروع النهضة".

فهذا التحول في الهدف قد أضفى على المستقبل صفة ماضوية، أو أصبح صورة من الماضي، وإذا كان الجابري يرى أن الآلية الدفاعية مشروطة عندما تكون جزءاً من مشروع للتقدم، انتهى حسب البعض إلى وعي تخيلي بالتراث حتى وهو يستعمله للتقدم.

وحق التيار الليبرالي الذي أراد أن ينتج وعياً عملياً ونقدياً للتراث، وهو ينظر إلى الحاضر بمنظار غريب قد فشل حسب الجابري في تحقيق مسعاه، لأنه قد وقع في التبعية التي يحسبها علامة ضعف فيه، لأن التبعية للآخر هو الوجه الآخر لاتباعية التراث، وكان الفشل مصير كل المحاولات، فبقي العرب تائهين بين نقيضين، الانهيار بما وصل إليه الغرب من تقدم علمي وتكنولوجي، وبين الحفاظ على الهوية وعدم الاندماج في الحضارة الغربية التي تسعى للسيطرة والهيمنة، أن التراث هنا قد وظف كسلاح إيديولوجي لمقاومة التحديات.

وللنهوض حسب الجابري يجب إعادة النظر في العلاقة بين الماضي والحاضر، وهي عملية تتطلب التخطيط في آن واحد لثقافة الماضي وثقافة المستقبل، فالتخطيط لثقافة الماضي، معناه إعادة كتابة تاريخها، وبالتالي إعادة تأسيسها في وعينا، وإعادة بنائها كتراث لنا نحتويه بدل أن يحتوينا، أما التخطيط لثقافة المستقبل فمعناه توفير شروط المواكبة والمشاركة، أي مواكبة الفكر المعاصر والمشاركة في إغنائه وتوجيهه²³.

والواقع يثبت أن التاريخ الثقافي السائد الآن هو في مجمله مجرد اجترار وتكرار وإعادة إنتاج بشكل رديء للتاريخ الثقافي نفسه الذي كتبه أجدادنا تحت ضغط الصراعات وفي حدود الإمكانيات العلمية والمنهجية التي كانت متوافرة عندهم، ولهذا نحن مازلنا سجناء الرؤية والمفاهيم والمناهج التي وجهتهم، مما يجبرنا دون أن نشعر إلى الانخراط في صراعات الماضي ومشاكله، إلى جعل حاضرنا مشغولا بمشاكل ماضينا، وبالتالي النظر إلى المستقبل بتوجيه من مشاكل الماضي والحاضر معا.

ولقد كانت طريقة القدماء مبررة تماما في عصرهم، ولا معنى لانتقادهم، وإنما الانتقاد يكون لنا، لأننا انقذنا أليا دون وعي لتراث كانت نتاج ظروف تاريخية خاصة بهم وتعاملنا معه، وكأنه حقيقة مطلقة. والتاريخ العربي اليوم هو تاريخ ممزق راكد لا يقدم لنا صورة واضحة ومتكاملة عن كلية الفكر العربي، ولا عن صراعاته ومراحل تطوره²⁴.

ب. منهج الجابري في قراءة التراث:

1. خطوات منهج قراءة التراث:

أ. ضرورة القطيعة: ويقصد ليس الانفصال الكلي عن التراث ذاته، بل القطيعة هي نوع من العلاقة مع التراث، والتي تحولنا من كائنات تراثية إلى كائنات لها تراث أي إلى شخصيات يشكل التراث أحد مقوماتها²⁵.

ب. فصل الذات عن الموضوع المقروء: أي تحرير الذات من هيمنة النص التراثي، والذي يتحقق من خلا الثلاثية المنهجية التالية: 1. المعالجة البنيوية: كطريقة في التفكيك البنيوي، بحيث ينظر فيها إلى النص التراثي ككل تتحكم فيه الثوابت التي يجربها عليها حول تركيز فكر صاحب النص حول إشكالية واضحة.²⁶

2. التحليل التاريخي: أي دراسة النص دراسة تاريخية لربطه بكل امتداداته المختلفة المجال.

3. الطرح الإيديولوجي: أي كشف هدف النص الإيديولوجي.

ج. وصل القارئ بالمقروء: حيث يكون الاتصالات اتصالا واعيا تحقيقا للاستمرارية، أي ضرورة الحدث الإستشراقي كحق الذات القارئة التي: "تحاول أن تقرأ نفسها في الذات المقروءة، ولكن مع الاحتفاظ لهذه الأخيرة بكيانها الذاتي كاملا ومستقلا، الشيء الذي أن لذت تبي محافظة على وعيها وبكامل شخصيتها"²⁷.

والملاحظ أن فكر الجابري من خلال نقده للفكر العربي، نلاحظ أن مشروعه قد اتسم بنوع من البراغماتية الحركية الواسعة، منهجيا ووظيفيا، من خلال دمه مفاهيم مختلفة من مجالات معرفية متعددة، لها دلالاتها الخاصة، بحيث استعملها استعمالا متحررا، حيث يقول: "إننا لا نتقيد في توظيفنا تلك المفاهيم بنفس الحدود والقيود التي تؤطرها في إطارها المرجعي الأصلي، بل كثيرا ما نتعامل معها بحرية واسعة، ذلك لأننا لا نعتبر هذه المفاهيم قوالب نهائية، بل أدوات فقط للعمل، يجب استعمالها في كل موضوع بالكيفية التي تجعلها منتجة"²⁸.

وإذا حق للجابري أن يرى بأن العقل العربي قد ظل طوال تاريخه عقلا كميئا محتفظا بأحكام متعالية وقيمية كلية، فإنه لا يحق له أن يختزل هذا العقل إلى مجموعة من الأحكام التجريبية التي أسسها العقل الغربي، والتي يعتمد الجابري أساسا مرجعيا لنقد العقل العربي. وقد كان في عرضه يقارن بين المفاهيم الغربية المستوحاة من الفلسفة الإغريقية، وبين التصورات الإسلامية وخصائص كل منهما دون أن يرجح تصورا على آخر، ليترك للقارئ الحرية في اختيار ما يشاء من التصورات التي تخدمه.

والبين أن الجابري يؤكد أنه: "علينا وان نضيف الآن أن عملية التفكير ذاتها لا تتم إلا داخل ثقافة معينة وبواسطتها والتفكير بواسطة ثقافة ما، معناه التفكير

من خلال منظومة مرجعية تتشكل إحدائياتها الأساسية من محددات هذه الثقافة ومكوناتها، وفي مقدمتها الموروث الثقافي والمحيط الاجتماعي والنظرة إلى المستقبل، بل إلى العالم والكون والإنسان، كما تحددها تلك الثقافة²⁹.

فحينما يتحدث الجابري عن الفكر الغربي فإنه يقصد به المرجعية أو النظام الذي ينتظم داخلها الفكر أو القوة المفكرة، من حيث هي أداة أو آلة للإنتاجيات المتنوعة الكثيرة في الفن والصناعة والعلم... الخ، من حيث هي صانعة لتلك الثقافة التي تصدر عنها القوة المفكرة، أو العقل في التأسيس والنظر، من خلال التفاعل بين العقل المكون والمفاهيم والتصورات المنشأة من حيث هي عقل مكون.

وأصل ذلك أن الجابري ينظر إلى العقل بوصفه فاعلية منتجة للثقافة، كجملة القواعد الفكرية التي يمكن اعتبارها أوليات مؤسسة لتلك الفاعلية أو القاعدة الفكرية الإستيمولوجية لتلك الثقافة أو نظامها المعرفي. والنظم المعرفية الثلاثة يقدم كل نظام منها رؤية خاصة للعالم مع توظيف مفاهيمه وتصوراتها، وفقا لآليات معينة داخل النظام في إنتاج نمط خاص من المعرفة سواء كان النظام معرفيا بيانيا أو عرفانيا أو برهانيا، وقد ربط الجابري هذا النموذج بالمعرفة ربطا غير مبرر، وقد تصارعت هذه الأنظمة الثلاثة مع بعضها البعض داخل الحيز العربي الإسلامي الذي إنتظمها، والذي انتهبانتصار العرفان ثم البيان على البرهان³⁰.

. خاتمة: في الأخير نجد أن الجابري يؤكد على ضرورة إعادة كتابة تاريخنا الثقافي بصورة عقلانية أصيلة وجديدة، وكذا التعامل النقدي العقلاني مع تراث يتوقف على مدمما نوظفه بنجاح من المفاهيم والمناهج العلمية المعاصرة، لذلك كان من الضروري لنا سواء من أجل حل مشاكل ماضينا في وعينا أو من أجل بناء مستقبلنا الثقافي العمل على نشر الثقافة العلمية والفلسفية وتكريس أساليب البحث العلمي ومناهجه، نظريا وعمليا في ساحتنا الثقافية الراهنة، إنه الشرط

الضروري لتدشين عصر تدوين جديد يؤسس المستقبل بما يستجيب لمتطلباته وفي بحاجاته". كما يدعو إلى دراسة الفكر العلمي الحديث وتطوره والاجتهاد في هضمه وتمثله.

ويؤكد أن الماضي كالمستقبل لا يكتشف ولا يبني، أو يعاد بناؤه، إلا على أساس الحاضر وانطلاقاً منه، حاضرنا العلمي هو العلم الحديث، فلنجعل من دراسة هذا العلم موضوعاً ومنهاجاً، روحاً ومناخاً، ووسيلة لبناء حاضرنا، وبعث ماضيها والانطلاق نحو مستقبلنا، لتسلح إذن بهذه الرؤية الجدلية التي تجعل الحاضر منطلقاً لبعث الماضي وبناء المستقبل، إننا إن فعلنا ذلك تجنبنا في آن واحد مخاطر الاعترا ب وأغلال الإعترا ب.

كما تعتبر قراءة الجابري للتراث قراءة فريدة من نوعها تتأسس على الفهم ومساءلة النص مساءلة حوارية جدلية، بحيث يمكن لأن يستنطق النص ونكشف أسرارها الغامضة من أجل جعله نصاً حديثاً، أي الحفر في الذاكرة بهدف التواصل الحضاري.

كما يمكن القول أن التراث والتجديد يؤسسان معاً علماً جديداً، وهو وصف للحاضر وكأنه ماض يتحرك، ووصف الماضي على أنه حاضر معاش، خاصة في بيئة كتلك التي نعيشها، حيث الحضارة فيها مازالت قيمة، وحيث الموروث مازال مقبولاً، فالحديث عن القديم يمكن من رؤية العصر فيه، وكلما أوغل الباحث في القديم وفك رموزه وطلاسمه أمكن رؤية العصر والقضاء على المعوقات في القديم إلى الأبد، وإبراز مواطن القوة والأصالة لتأسيس نهضتنا المعاصرة، حيث يقول حسن حنفي: "لما كان التراث يشير إلى الماضي والتجديد يشير إلى الحاضر، فإن قضية التراث والتجديد . الحداثة . هي قضية التجانس في الزمان وربط الماضي بالحاضر وإيجاد وحدة التاريخ".

الهوامش:

1. ابن منظور: لسان العرب المحيط، قدمه: الشيخ عبد الله العلامي، دار الجيل، بيروت، 1988، ص 907.
2. حسن حنفي: التراث ولتجديد، موقفنا من التراث، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط4، 1992، ص13.
3. عبد الغني بارة: الهيمنيوطيقا والفلسفة، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008، ص563.
4. جابر عصفور: هوامش على دفتر التنوير، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1994، ص22.
5. الجابري: التراث والحداثة، دراسات ومناقشات، ط2 مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999، ص13.
6. المرجع نفسه، ص23.
7. حسن حنفي: التراث والتجديد، المرجع السابق، ص ص 14، 15.
8. المرجع نفسه، ص ص 19، 20.
9. العين: الخليل أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وآخرون، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1981.
10. ابن منظور: لسان العرب، المرجع السابق، ص 131.
11. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1979، ص 404.
12. طه عبد الرحمن: روح الحداثة، المرجع السابق، ص23.
13. المرجع نفسه، ص ص 27، 28.
14. الجابري تكوين العقل العربي، دار الطليعة، بيروت، 1984، ص ص 55، 56.
15. الجابري: تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، ج1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1982، ص
16. الجابري: تكوين العقل العربي، المصدر السابق، ص57.
17. المصدر نفسه، ص62.
18. الموضوعية: من منظور الجابري هو أن يجعل التراث معاصرا لنفسه، وذلك بفصله عنا والنظر إليه في سياقه المعرفي والسوسيو تاريخي (الجابري: التراث والحداثة، المصدر السابق، ص 47).
19. المعقولية: هي النظر إلى التراث بصورة عصرية، أي وفق شروط العصر، من أجل إعادة وصله بنا، وفق مناهج عقلية. (المصدر نفسه، ص 47).
20. المصدر نفسه، ص 47.
21. محمد أركون: قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم. دار الطليعة، بيروت، 2000، ص303.
22. الجابري: نحن والتراث، قراءة معاصرة في تراثنا، ط6، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1993، ص13.
23. الجابري: تكوين العقل العربي، المرجع السابق، ص ص38، 39.
24. المصدر نفسه، ص 19.
25. نفسه، ص 25.
26. نفسه، ص 05.
27. الجابري: الخطاب العربي المعاصر، دراسة تحليلية، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، ص ص 6، 7.
28. الجابري: إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسة الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2005، ص78.
29. المصدر نفسه، ص 59.
30. حسن حنفي: التراث والتجديد، المرجع السابق، ص19.

مفهوم (السياسية الكبرى) في فلسفة نيتشه السياسية

أيمن بوطرفة

مخبر الفلسفة وتاريخها، جامعة وهران 2

تحت إشراف: أ.د منير بهادي

تقديم

تعتبر الفلسفة النيتشوية أحد أكثر الفلسفات جذرية في تاريخ الفكر الفلسفي بعمامة، فقد أشتهر عن نيتشه حسه النقدي في التطرق لإشكاليات الأخلاق، الدين، الحداثة. لكن مع ذلك تبقى عديد الجوانب المخفية، أو لنقل قليلة التداول والتباحث في فلسفته. والقصد هنا على أفكاره السياسية تحديدا. فلا يثير القلق والجدل والاختلاف في فلسفة نيتشه أكثر من آراءه وأفكاره السياسية.

من هنا كانت هته الدراسة تتطرق لمجال غامض من مجالات فلسفة فريدريك نيتشه، أي فلسفته السياسية، وتحديدا جزئية مفهوم "السياسة الكبرى". من حيث أن المفهوم يعد من أحد المفاهيم المركزية في أفكار فيلسوف الانسان الأسى السياسية، ترافقا مع مفهوم الإنسان الأسى وإرادة القوة أو الاقتدار. وحيث أنه كثيرا ما يلاحظ في بعض الدراسات حول نيتشه ما يحيله للنازية ودعم القومية الألمانية بطريقة يمكن تصنيفها بالعنصرية، فان القارئ لأعمال نيتشه يستشف رأيا مخالفا لتلك التصنيفات النمطية. فنيتشه هو في آن ينخرط في تمجيد الثقافة الألمانية ونقدها، في أكثر من محضر وخصوصا في أعماله الختامية يتبنى نيتشه وجهة نظر نقدية تجاه الثقافة الألمانية والفكر القومي بالعموم. حيث لا يتردد نيتشه في وصم القوميين والدولانيين بالتعصب وبضيق الأفق وبالانحطاط.

من هنا يطرح التساؤل الرئيسي الذي ستحاول هته الدراسة الإجابة عنه : فيما يتمثل مفهوم السياسة الكبرى النيتشوي؟ وما طبيعة الافكار السياسية لنيتشه؟

1. تعريف السياسة الكبرى

بالعودة للبحث عن الأصول اللغوية للمصطلح، فإن مصطلح "السياسة الكبرى" ليس مصطلحا ابتدعه نيتشه. فلم يكن الفيلسوف الألماني أول من صاغه ولا أول من استعمله. فنيتشه استعمل هذا المصطلح للتعبير عن فكرة سياسية معينة. وعبر مختلف كتابات نيتشه نجد استعمالا متفاوتا للدلالة لمفهوم السياسة الكبرى، لذا قبل التطرق لتفاصيل المفهوم وجب أولا تحديد تعريف مفاهيمي للمصطلح موضع الدراسة.

يمكن أن نفرق بين استعمالين مفهومين للسياسة الكبرى عند نيتشه، فنيتشه يتناول مصطلح السياسة الكبرى من زاويتي نظر مختلفتين : الأولى هي استقراء للمصطلح ببعده التداولي، والثانية هي الاستعمال التوظيفي للمصطلح.

يتحدد المستوى الأول باستقبال المصطلح في بعده التاريخي، حيث أن نيتشه يبدي وجهة نظر نقدية تجاه مفهوم السياسة الكبرى كما تم استعماله في تاريخية البيئة الثقافية الألمانية. فتلقي المصطلح يأخذ في هذا الجانب بعدا سلبيا وإيجابيا في نفس الوقت. حتى وان كان نيتشه يعمد إلى إظهار الجانب السلبي فيه قبيل إعادة تلقفه وإعادة تدويره في المنظومة الفلسفية النيتشوية. من خلال هذا النص المستقطع من كتاب "إنساني مفرط في إنسانيته" يعمد نيتشه إلى تسليط الضوء على الآثار الجانبية للسياسة الكبرى المتداولة في القديم وحتى القرن التاسع عشر، مسلطا الضوء على مخاطرها بالنسبة للحرية الفردية.

"وكما أن شعبا ما لا يتكبد في الحروب والاستعدادات للحروب خسائر جسيمة، فقط من خلال تكلفة الحرب وتعطل التجارة والمواصلات ومن جراء الإنفاق على الجيوش الرسمية، مهما كانت هذه الخسائر باهظة في عصرنا الحاضر حيث تنفق

ثمانية بلدان أوروبية مبلغ ما بين المليارين والثلاث مليارات في هذا المجال، بل من خلال انتزاع عدد مهول من أكثر الرجال كفاءة وأمتهم بنية وأكثرهم نشاطا وإبعادهم عن أشغالهم وأعمالهم الأصلية ليتحولوا إلى جنود، كذلك فإن أمة تطرح على نفسها أن تمارس سياسة عظمى وأن تضمن لنفسها صوتا مسموعا بين الدول العظمى، سيكون عليها أن تتكبد خسائر أخرى غير تلك التي نتوقعها عادة ... ستكون حصيلة كل هذه التضحيات والخسائر من طاقات الأفراد ومن العمل هائلة الارتفاع بحيث يصبح الازدهار السياسي لشعب ما مرفوقا بصفة شبه حتمية بتفكير وكلل ذهنيين، وبتقلص في القدرة على انجاز أعمال تتطلب قدرا كبيرا من التركيز والانتباه، بالنهاية يحق لنا أن نتساءل: هل كل هذا المهرج_الذي لا يتجسد بالنهاية إلا بالخوف الذي سيكون لبقية الدول أمام العملاق الجديد، وفي الامتيازات المنتزعة من الخارج لصالح ازدهار التجارة والمعاملات_يستحق كل هذا الاهتمام وهل كان لا بد، من أجل هذه الزهرة المصطنعة الفجة والمزوقة، أن تتم التضحية بكل النباتات الأكثر نبالة والأكثر رقة والأكثر ذكاء." (نيتشه، 2014: 343-342)

يتم التنبيه أيضا إلى خطورة التأويل الخاطئ والاستعمال المحرف لاستراتيجيات السياسة الكبرى: "إن الاستمرار في نفخ الأبواق المسيحية في أمور السياسة الكبرى، مثلا في بيانات النصر أو في الخطب الإمبراطورية الموجهة إلى الشعب، هو من الأشياء التي بدأت تصير بغيضة أكثر فأكثر، لأنه مناف للذوق" (نيتشه، 2011: 42).

على المستوى الثاني فإن نيتشه في هته المرة ينقلب إلى وئيلفهوم. هنا يغدو مصطلح السياسة الكبرى مفهوما جوهريا في نموذج المنظومة الفلسفية السياسية النيتشوية. فنيتشه في هذا المحضر يصبح داعيا ومبشرا بالسياسة الكبرى، حيث تتحول السياسة الكبرى إلى أمل مشروع مستقبلي، أي يتم تناولها في بعدها الايجابي.

إن السياسة الكبرى وجوهرها الاقتدار، تكون بهذا المعنى التمثل السياسي لإرادة الاقتدار، أي تجسد إرادة الاقتدار على شكل مشروع ونموذج سياسي. " مهما يكن الحيز الذي تشغله مصلحة وغرور الأفراد والشعوب في السياسة، فإن القوة التي تدفعهم إلى الإمام هي حاجتهم إلى قوة، التي تنفجر من ينابيع لا تنضب من حين لآخر، ليس فقط في نفوس الأمراء والأقوياء، بل كذلك لدى الطبقات الدنيا من الشعب وبنفس القدر تقريبا". (نيتشه، 2013: 134)

إن نيتشه يرى نفسه بأنه نقيض لسياسة عصره، لهذا يرفضها قاطعا، داعيا إلى البديل آخر. أي إلى السياسة الكبرى. من هنا يعلن نيتشه رفضه لسياسة عصره، مخصصا رفضه هذا لنموذج الدولة الأمة والأفكار القومية التي بدأت تجتاح أوروبا بداية من معاهدة وستفاليا وبداية تحقق مشروع الحداثة السياسية. والقومية الألمانية على الخصوص التي جذبت وشكلت غواية للمفكرين الألمان أمثال هيجل وفخته وريتشارد فاغنر. فنيتشه يصف نفسه بأنه "أوروبي صالح" بمعنى أنه معاد لتوجهات السياسة القومية التي سادت عصره، فيصف نفسه بالآتي: "إنني لا أعاني أي صعوبة في أن أكون (أوربيا صالحا) ...أنا الذي يمثل آخر الألمان المناقضين للسياسة". (Nietzsche، 2011: 12)

في نظرة استشرافية لمستقبل السياسة الكبرى. فإنها كسياسة للمستقبل، ليس مرجحا أن تظهر بسلاسة، بل يرجح أن تتبلور عقب ولادة قيصرية. ربما ستكون الأضعب في التاريخ: "الفكرة السياسية ستصبح حين إذ مستوعبة كليا في صراع الأرواح، وكل تداخلات قوى المجتمع القديمة ستصبح مكشوفة للعالم، على أنها مبنية على الزيف. ستكون هنالك حروب لم تشهد الأرض مثلها من قبل. انطلاقا مني ستكون بداية السياسة الكبرى في الأرض". (Nietzsche، 2011: 127)

في تعريف آخر السياسة الكبرى تظهر هته المرة كدواء وترياق ضد الهوية القومية المنغلقة: "إنهم يجهلون دائنا نحن الألمان، في الذوق. داء يتم مؤخرا مداواته

بحزم كبير، أي ب"الدم والحديد" أو ما أقصده ب"السياسة الكبرى". هذا الدواء الخطير الذي مازلت أنتظر دائما وأبدا عواقبه، لكن دائما بيأس". (Nietzsche, 1913:283)

يشيد نيتشه بشخصيات أمثال تشيزاري بورجيا César Borgia، فريدريك الثاني Friedrich II، نابليون وكل من قاد ما يمكن تسميته بالسياسة الكبرى، سياسة أوروبية منفتحة، وليس سياسة قومية. ربما يكون شعار تشيزاري بورجيا معبرا أكثر على هذا الطرح: "إما قيصر أو لا شيء". في هذا الجانب يظهر نيتشه جاذبية صريحة للتوجهات الامبريالية. فالامبريالية والتوسعية عند نيتشه أرحم بمراحل من انحطاط السياسة الصغرى المجسدة تحديدا في الديمقراطية ونموذج الدولة/الأمّة. وهذا ما جعل جورج لوكاتش أحد أهم المنافحين عن الاشتراكية في الفكر المعاصر يصنف نيتشه بأنه أكبر اعداء الديمقراطية والاشتراكية والعقلانية الحديثة، وصفه بأنه: نبي ومؤسس اللاعقلانية في طورها الامبريالي. (لوكاتش، 1981:93)

لقد رأى نيتشه في السياسة الكبرى نقيضا لما يسميه السياسة الصغرى، التي سادت عصره تحديدا. مع السياسة الكبرى فان نيتشه يدخل مفهوما جديدا لحقل الدلالة الفلسفية السياسية. حيث يحيلنا إلى غاية فلسفته بعامة، ألا وهي التمهيد لظهور عصر بطولي جديد، يخلف ويتجاوز أنقاض العدمية الحديثة، التي انهكت روح الإنسان المبدع الحرة. بهذا يطرح مفهوم السياسة الكبرى تقابلات سياسية مهمة يمكن على اثرها استيعاب الفكر السياسي النيتشوي: الوحدة الأوروبية في مقابل القوميات التجزئية والدولة القطرية. الأوروبي الصالح في مكان المواطن الديمقراطي. إرادة الاقتدار في مقابل العدمية.

2. الوحدة الأوروبية

أظهر نيتشه عبر مختلف نصوصه نفوره الظاهر من القوميات المتصاعدة في عصره وما يصاحبها من تصاعد للأفكار الاشتراكية والديمقراطية. حيث على النقيض من السياسة الكبرى التي يدعو إليها، رأى في كل هذا الأمر ما يسميه بالسياسة الصغرى. سياسة القوميات الأوروبية والتجزئة والقطرية. وفي مقابل نفوره من هذا الأمر، كان نيتشه يتلهف بوضوح لنموذج السياسة الكبرى التي تجسدها الوحدة الأوروبية، والتي يتجسد فيها المواطن الأوروبي المنفتح الهوية بدل مواطن الدولة القومية المقولب.

إن الوحدة الأوروبية هي مثال كان نيتشه يرجوه أن يتحقق عبر تبني استراتيجيات الوحدة الأوروبية، التي تشكل الامتداد التطبيقي لسياسة الانسان الأسى. لقد كانت إستشرافات نيتشه الطامحة، تتأمل الماضي والمستقبل في نفس وقت احتقارها للحاضر_زمن نيتشه_. فنيشه هو القائل بأن أفكاره هي تأملات لغير أوانها (Nietzsche ، 1907). يظهر نموذج أوروبا الموحدة في الإمبراطورية الرومانية الماقبل مسيحية كمرجعية تاريخية للسياسة والكبرى والوحدة الأوروبية، حيث أمل نيتشه في نموذج مستقبلي لأوروبا موحدة ينجزه الإنسان الأسى المرجو ظهوره. صحيح أنا مع نيتشه في اطار العالمية الكلاسيكية وليست الكونية على ما تمثله العولمة اليوم أو أفكار الفلسفة الرواقية والكانطية. وعموما فق نيتشه ناقدا لأفكار الرواقيين ورافضا لأفكار كانط. حيث رأى بأن مشروعه للسلام الدائم ما هو إلا عبارة عن وهم منمق. فوعد السلام ووعد شيخوخة هادئة مثالية، لا تحدث في نفوسنا إلا الخوف وتجعلنا نخشى من الحرب والصراع. (kynast، 2014:114) في حين أن الصراع هو جوهر الحياة وأليتها الضرورية للاستمرار

ان نموذجه المرغوب أو من يسميهم ب "الأوروبيين الصالحين" هم أولئك الذي يتجاوزون عاطفتهم القومية والوطنية لكي يتمكنوا من انجاز أكبر المشاريع والغايات، وأهمها سياسيا، مشروع الوحدة الأوروبية.

تمثل النزعة القومية الوطنية المنغلقة على ذاتها مثالا للانحطاط السياسي في فلسفة نيتشه، من منطلق أنها نتاج عدمية السياسة الحدائية. النزعة نحو المساواة العدمية وقصر النظر تشكل كلها أبرز مظاهر ما يشكل منظومة السياسة الصغرى.

في توجه تبجيل العالمية ونقد الانسداد القومي القطري، لا يتوانى نيتشه في إبداء إعجابه بشخصية نابليون بونابرت وعظمتها، فما نشد نابليون تحقيقه في أوروبا يبقى آخر محاولات السياسة الكبرى بحسب نيتشه. شخصيات فكرية أخرى تساهم في دعم مشروعية الوحدة الأوروبية هته، سواء بقصد أو عن غير قصد. هؤلاء جميعا يدخلون في تصنيف الأوروبيون الصالحون. يقول نيتشه في هذا الصدد: " بفضل التباعد المرضي الذي نصبه جنون القوميات حاجزا بين شعوب أوروبا وما يزال، وكذلك بفضل سياسي النظر القصير واليد الرشيق الذين يتربعون اليوم على القمة. بمساعدة ذلك الجنون لا يدرون البتة أن سياسة التفرقة التي يمارسونها ستكون مجرد وصلة بين فصلين، بل لا يدرون إلى أي حد لا بد للأمر أن يكون كذلك. بفضل كل هذا وغيره من أمور لا يمكن التعبير عنها اليوم على الإطلاق، يتم الآن إهمال علائم غير ملتبسة أو يتم تأويلها تأويلا اعتباريا وكاذبا، في حين تعلن هي: أن أوروبا تريد أن تتوحد... أفكر برجال من أمثال نابليون وبتهوفن وستاندال وهانرش هاينه وشوبنهاور، ولا تؤاخذوني إن أضفت لهم ريتشارد فاغنر الذي يجب ألا نحكم عليه من خلال سوء فهمه لذاته. إذ قلما كان لعباقرة مثله الحق في فهم أنفسهم". (نيتشه، 2003: 238)

اما نابليون فقد كان المعيار وآخر نموذج مرجعي، انه بالنسبة لنيته آخر السياسيين الصالحين:

" أخيرا عندما ارتأى لنا من فوق الجسر، فيما بين قرنين من الانحطاط، "قوة كبرى" من العبقرية والإرادة، قوة على قدر من الاقتدار لجعل أوروبا وحدة سياسية واقتصادية، كان يمكن أن تهيم على العالم. ومرة أخرى أنهم الألمان بحروب "استقلالهم" هم من ثبطوا أوروبا من تلقي المعنى الجميل الذي يخفيه وجود نابليون". (Nietzsche ، 121:2011) فالوحدة الأوروبية هي طريق السيادة، وهذا ما فعله نابليون : " نابليون الذي أراد كما نعلم أوروبا موحدة لكي تصبح سيدة العالم". (Nietzsche ، 350:1901)

إن نيته الذي يستخدم ضمير الـ"نحن" في أكثر من مناسبة _خصوصا في كتابي العلم الجدل وكتاب ما وراء الخير والشر_ تعبيرا عن نوع من الانتماء السياسي الرمزي لقضية الوحدة الأوروبية. فتتكرر هته العبارة في المتن النيتشوي: "نحن الأوروبيون الصالحون الآخرون، نحن الفلاسفة الآخرون، نحن الأرواح الحرة ... كل هذا يضاف اليه انسان نيته الأنسى ونيته نفسه، غايتهم وأملهم ومهمتهم السياسية هي تجسيد مشروع أوروبا الموحدة المرجو. فهذا الاستعمال للـ"نحن"، يظهر أن نيته ينظر لقرائه على أنهم رفاق في النضال، وأنهم أيضا مواضع للسياسة الكبرى. (dalie ، 58:2003)

3. المواطن الأوروبي أو الأوروبي الصالح

يتحدث نيته بداية من كتاب العلم الجدل عن مفهوم الأوروبي الصالح، مفهوم سيتداول بتوسع أكبر في كتاب "ما وراء الخير والشر"، ثم سيظهر في شكل أكثر وضوحا في كتاب "إرادة القوة"* الذي سينشر للعلن عقب وفاة نيته.

* يتم التشكيك في مصداقية كتاب ارادة القوة عند كثير من الباحثين في المتن النيتشوي، وعلى رأسهم الايطالي جورجيو كولي. حيث أن الكتاب نشر بعد وفاة نيته، عن طريق أخته اليزابيت نيته _التي تحوم الشكوك حول

مفهوم الأوربي الصالح هو مصطلح نيتشوي ذو بعد تداولي سياسي. وما يهم هنا هو تحديد ماهية وطبيعة هذا المصطلح وعلاقته ب"السياسة الكبرى".

إن مفهوم الأوربي الصالح يحيلنا إلى تصور نيتشوي استشرافي لنوع خاص من نماذج المواطنة. فليس هذا الأوربي الصالح هو مواطن إحدى الدول القطرية الأوروبية على سبيل المثال، بل هو عبارة عن اصطلاح نيتشوي يهدف لبيان نموذج من المواطن المستقبلي الذي يصبو نيتشه تجسيده.

"إن الأوربيين يسرون نحو التماثل، نحو انعتاقهم المتنامي من شروط تنشأ بموجبها أعراق مقيدة مناخيا وطبقيا، نحو استقلالهم المتزايد من كل بيئة معينة تريد أن تخط مطالبها المتماثلة في النفس والجسد على مر الأجيال، وبالتالي سيظهر تدريجيا نوع بشري رحال جوهريا وما فوق قومي، وبتعبير فسيولوجي نوع يبلغ الحد الأقصى في القدرة على التكيف ويتفنن فيه بوصفه خاصيته المميزة. إن هذه السيرورة نحو الأوربي المقبل يمكن أن تخفف من سرعتها نكسات كبيرة قد تنمها مع ذلك إذ تزيدها سطوة وعمقا...". (نيتشه، 2003: 215)

الأوربي الصالح هو نموذج كوني، مواطن لكل أوروبا. أو هو بصيغة أخرى ليس مواطنا بالمعنى الحرفي للكلمة. إنه نموذج للإنسان السياسي الكوسموبوليتيكي *cosmopolitique*، ولكن ليس بالمفهوم الرواق أو الكانطي. فهو النموذج الذي يقترحه نيتشه بديلا عن مواطن الدولة القطرية المتقوقع في ظل انتماءاته القومية الضيقة وفكرة الهوية الوطنية. إن نيتشه بهذا يدعو لإنسان أوروبا الموحدة.

مازال يسود في فرنسا اليوم، اليوم أيضا، جو من التفهم والترحاب بأنادر الناس، بأولئك الذين نادرا ما يرضون أو يقنعون بأي تقوقع وطني، لأنهم أوسع من ذلك

انتماءاتها للفكر النازي _ . وهو في الأصل تجميع لعدة شذرات ونصوص لم ينشرها نيتشه في حياته الواعية. أيضا فقد تولى نيتشه عن فكرة مشروع كتاب (ارادة القوة) في حياته الواعية، وعضها بعدد الكتب الأخرى، حيث أن المتأمل في آخر كتب نيتشه (هذا هو الانسان) يسح فيه ختاماً وخلصاً لأفكار نيتشه.

ويعرفون كيف يحبون الجنوب في الشمال والشمال في الجنوب، بأولئك الذين ولدوا ليكونوا قاطني البلاد الوسطى وأوروبيين صالحين. (نيتشه، 2003: 236)

ان هته الغاية لن تتحقق الا على أنقاض الدولة/ الأمة : "هناك حيث تنتهي الدولة يبدأ الإنسان الذي ليس فائضا عن اللزوم : هناك يبدأ نشيد الضرورة، والطريقة الوحيدة التي لا مثيل لها للوجود". (نيتشه، 2007: 106)

يريد نيتشه الأوروبي الصالح، ويأمل أن يكون فاتحة أمارات تسمح لإرادة أوروبا بالتوحد... نيتشه يعتقد بأن العمل الغامض لروح رجال العصر- القرن التاسع عشر- يمكن أن يظهر من خلاله ميلا شاملا يمكن أن يجمع من خلاله كل الباقين، أي محاولة تحضير أوروبي المستقبل. (jasper، 1950: 232)

إن الأوروبي الصالح بهذا المعنى نموذج سياسي للإنسان الأوروبي الفاضل. يمكن أيضا للأوروبي الصالح أن يكون نموذج فلاسفة المستقبل الذي ينتظرهم نيتشه. كذلك يمكن تأويله على أنه النموذج السياسي للمصطلح النيتشوي "الإنسان الأسمى". أيضا هو انسان ما بعد الأخلاق المسيحية ولعدمية المساواتية، هو نموذج ينتظر منه الظهور عقب عملية قلب القيم. حيث تنتصر أخلاق السادة على أخلاق العبيد، وتسود ارادة القوة بدل ارادة العدم. فإرادة القوة هي المحرك الوحيد للحقيقة وللحياة. (bilheran، 2005: 16)

يسمي نيتشه المفكرين الجيدين بأصحاب الروح الحرة، وأيضا ب"الأوروبيين الصالحين". وهو في هذا يدرج نفسه ضمن اطار هذين التصنيفين، فكثيرا ما يستعمل نيتشه ضمير ال"نحن" للتعبير عن هكذا مفاهيم.

" لقد اخترع الألمان البارود، لهم كل التقدير! لكنهم ضيعوا كل شيئا إذ اخترعوا الصحافة، لكن نحن الذين لسنا يسوعيين ولا ديمقراطيين ولا ألمان بما فيه الكفاية، نحن الأوروبيين الصالحين، نحن الأرواح الحرة، الحرة جدا، لا نزال

نمتلكها هي، نمتلك شدة الروح وشدة قوسها كلها! وربما الشهم أيضا والمهمة؟
ومن يدري ربما الهدف...". (نيتشه، 2003: 19)

الأوروبي الصالح هو نموذج الإنسان الأوروبي المتخلي عن كل العدميات الأوروبية،
والداعم لفكرة الوحدة الأوروبية وإرادة القوة، الأوروبي الصالح هو إنسان فطن
لا تنطلي عليه خدع القوميات الأوروبية وما يصاحبها من انغلاق ثقافي ومعاداة
للسامية. هو أقرب لأن يكون في الفكر النيتشوي نموذج مشروع مستقبلي يتوقع
بأن يثور على واقع أوروبا السياسي وعلى تراث الحداثة السياسية. هنا يستطرد
نيتشه: "نحن الأوروبيون الصالحون نوجد في حرب مع القرن الثامن عشر".
(نيتشه، 2011: 42)

الأوروبي الصالح هو نقيض المواطن الدولاتي المتعصب لانتمائه الوطني والقومي.
هذا الانتماء الذي تشرعه النزعة الديمقراطية الصاعدة. هذا الأمر هو ما يجعله
منه نموذجا للفكر السياسي المنحط وللعدمية. على النقيض يوجد "الأوروبي
الصالح" ممثلا لنموذج الأفكار الراقية.

الأوروبي الصالح هو النموذج الموائم للسياسة الكبرى، نموذج الاقتدار المبدع في
خدمة المشاريع الكبرى لمواجهة أفكار سياسة القطيع.

يمكن القول أن الأوروبي الصالح هو نموذج نيتشوي أصيل يمكن أن نرادفه مع
مصطلح: المواطن الأوروبي. حيث يمثل نقيض القومية، الديمقراطية، النزعة
الوطنية. هو باختصار نموذج مواطنة السياسة الكبرى.

"نحن ألمان أقل بكثير في المعنى الذي تأخذه هذه الكلمة على أيامنا، حتى نستطيع
أن نرافع لصالح القومية وكره الأعراق، حتى نستطيع أن نتمتع بجذام القلب
هذا، وبتسمم الدم هذا، الذي يجعل شعوب أوروبا تنعزل عن بعضها، تتمترس
وتضع نفسها في الحجر الصحي... نحن من لا وطن لنا، إننا من أعراق مفرطة

التداخل لتشكيل رجالا عصريين ... إننا بكلمة أوروبيون صالحون، ورثة أوروبا...
".(نيتشه، 2001: 239-240)

يريد نيتشه أن يجعل من فكرة الأوروبي الصالح، غاية يجب أن تعمل الاستراتيجيات السياسية المستقبلية على تجسيدها، أي انه يهدف في مقاربة أخرى الى جعلها منهج تربية مستقبلية. أين أن "مذهب الأوروبي الصالح {هذا} منهج بدون "محبة" يمكن أن نميز فيه نقدا ل"قلب القيم"، منهج للقيمة الموجودة، بيداغوجيا للقيم الاجتماعية المستقبلية ".(tazerout, l'éducation vitaliste. 1946:144) وكبديل عن النظم الأخلاقية السائدة، يهدف نيتشه لأن يلحق لأوروبي الصالح أخلاقية "ما وراء الخير والشر"، أخلاقية جمالية خالصة. (critique de l'éducation, tazerout. 1946:144) بحسب فيلسوف الانسان الأسى.

يمكن القول أن الأوروبي الصالح هو ترجمة سياسية لمصطلح الإنسان الأسى، هو عينه النموذج المرجو الذي سيتجاوز عطلات نموذج الإنسان الديمقراطي _خاتم البشر_. حيث يرجو نيتشه به نوعا من السياسة الكونية _cosmopolitique_، على النقيض من التوجهات القومية والدولانية التجزئية، التي تمثل "السياسة الصغرى".

4. مستقبل السياسة الكبرى والواقع الأوروبي الاستراتيجي :

كمستشرف، يتنبأ نيتشه بدخول أوروبا في حروب طاحنة مترقبة، حروب ستغير وجه أوروبا للأبد. حيث ستعلن عن سقوط القوى التقليدية لصالح قوة جديدة صاعدة، قادرة حسبه في بعدها الايجابي على توحيد أوروبا. فيقول في اخر كتبه "هذا هو الانسان": "فكرة السياسية ستكون مستوعبة كليا داخل صراع الأرواح، وكل توليفات قوى المجتمع الهرم سيتم تفجيرها بما أنها مبنية كلها على الكذب:

ستكون هنالك حروب ليس لها مثيل في تاريخ الأرض. انطلاقاً مني فقط ستبدأ السياسة الكبرى على وجه البسيطة." (Nietzsche، 2011:127)

رأى نيتشه في السياسة الكبرى سبيلاً لتجاوز العدمية التي يبشر بها مستقبل أوروبا نتيجة انتصار الحداثة، التي لم تختلف عن الأخلاق المسيحية، إلا في ارتداءها صبغة دهرانية. لقد أراد نيتشه عبر السياسة الكبرى أن يقترح سبيلاً آخر كي تخرج أوروبا على إثره من ما بين سندان العدمية ومطرقة الانحطاط. كان الواقع الأوروبي -القرن التاسع عشر- يوحى بنزوع نحو نموذج الدولة المقترية، وتجزئة أوروبا إلى كيانات سياسية صغيرة، تحكمها الأيديولوجيات الديمقراطية والاشتراكية. حيث سيسود النزوع نحو الاستراتيجيات السياسية الأكثر جموداً وهدوءاً. بالنسبة لنيتشه فلم ير في هذا الجمود والسلام إلا مظهراً من مظاهر الانحلال، انه بالأحرى المرحلة الأولى التي تسبق السقوط. إن مكانة أوروبا العالمية مهددة تهديداً خطيراً، لأن إرادتها قد انحلت وتراخت، ولم تعد قادرة على مواجهة التحديات الكبرى مستقبلاً، في ظل السياسة السائدة في عصر نيتشه. بينما كانت قوى أخرى تحتفظ بقوتها أو تشجدهمهما، فإن أوروبا بعدميتها البادية تتجه نحو الانحدار والهاوية. لذا حذر نيتشه من ما يسميه السياسة الصغرى، وأخطارها على مستقبل أوروبا السياسي، قائلاً: "إلا أنها [الإرادة] على أقوى وأدهش ما يكون في تلك الإمبراطورية الوسطية الضخمة حيث تعود أوروبا أدراجها إلى آسيا وكأنها نهر جار، أي في روسيا. هنالك تنتظر الإرادة على نحو مخيف إطلاقها، كي تستعير اللفظ العزيز على الفيزيائيين اليوم، ولا تزال تجهل ما إذا كانت إرادة للنفي أو للإثبات. فمن أجل درء أعظم الأخطار عن أوروبا لن نلتزم، على الأرجح حروب هندية وتورطات في آسيا وحسب، بل أيضاً انقلابات داخلية، وتفتيت للإمبراطورية إلى أجسام صغيرة، وقبل كل شيء إدخال الحمق البرلماني، بما فيه واجب أن يقرأ كل واحد جريدته عند الفطور. ولا أقول هذا متمنياً: فقلبي ميال إلى العكس بالأحرى، أعني إلى تزايد خطر روسيا إلى حد يدفع أوروبا إلى التصميم

على أن تصير بدورها خطرة، وتحديدًا أن تحظى بواسطة ثلة جديدة تحكم أوروبا، بإرادة موحدة، إرادة خاصة مرعبة وطويلة يمكن لها أن تحدد أهدافها لآلاف من السنين... كي يوضع أخيرًا حد لمهزلة دويلاتها الطويلة وأيضًا لتعدد إراداتها وتوزعها على أنظمة ملكية وديمقراطية. لقد ولى زمن السياسة الصغرى: القرن التالي سيجلب معه الصراع من أجل السيطرة على العالم_الإرغام على السياسة الكبرى." (نيتشه، 2003: 167)

في هذا السياق يمكن استحضار المقاربة الخلدونية، فالحضارة تسقط متى ما جنح أهلها لحياة الرخاء والكسل والاستقرار. فنيتشه مثله مثل بن خلدون يرى بمصادقية فكرة الصراع. بل إن نيتشه يزيد عن ذلك فالصراع عنده ليس فقط من أجل ضمان البقاء مثلما يرى تشارلز داروين مثلاً، بل أنه صراع من أجل اكتساب القوة والاقتدار.

يقترح نيتشه احتمالين رئيسيين لتشكيل السياسة الكبرى مستقبلاً. إما أن الفشل السياسي في أوروبا سيقود إلى تدميرها وبالتالي ظهور تفاعلات جديدة لحكم العالم. وإما توحيد أوروبا سياسياً وبالتالي تصبح قادرة على حكم العالم. (jasper، 1950: 232) وقد قال نيتشه بفكرة التحدي والاستجابة، واستخدم المثال الروسي، الذي يشكل على شدته وخطورته، تحدياً ذا شأن يمكن أن يوقظ الهمة الأوروبية. "عبر الوعي الأوروبي الذي شغل نيتشه، فإنه يرى في روسيا، ليس فقط خطراً كبيراً على أوروبا، ولكن أيضاً إمكانية الكبيرة لإيقاظ أوروبا عبر تحفيز آلية الدفاع المضاد." (jasper، 1950: 233)

تتجسد مصادقية أفكار نيتشه بفعل اعتباره متنبئاً بارعاً، بل إنه يقترب إن يكون حامل نبوءات، وهو ما جعل بيتر سلوتردايك يطلق على أفكاره، ب(الانجيل الخامس). (سلوتردايك، 2003: 11)

وفي نفس السياق يثني "كريستيان دولا كومباني" تقريبا على قدرات نيتشه الإستشترافية ورؤيته النافذة. ف"بعد أن نمت الوطنيات وتعددت على الرغم من تحذيرات نيتشه التنبؤية، وهو آخر المفكرين الكوزموبوليتيكيين، انتهى الأمر بأن أثارت في قرننا (العشرين) حربين عالميتين تتماثل بالنسبة للقارة الأوروبية مع انتحار جماعي." (دولا كامباني، 2003: 248) لقد أدى ما يسميه نيتشه ب"جنون القوميات" إلى تحقق التنبؤ الثاني بدل الأول، أي انهيار مكانة أوروبا في سلم القوى العالمية.

رفض نيتشه مفهوم الدولة القطرية التجزئية، أو ما يعرف بنموذج (الدولة الأمة). حيث رأى فيه علامة من علامات الانحلال السياسي التي ترافق تصاعد النزعات الديمقراطية التي كان مقمها نيتشه ورأى فيها مثالا صارخا على العدمية السياسية للحدثة الأوروبية. ولتجاوز هذا الأمر دعى الى قلب القيم، وإعادة صياغة المثل والغايات. فنظر للإنسان الأسمى بدلا من الانسان الديمقراطي_خاتم البشر، وللسياسة الكبرى كحل للخروج من الانسداد السياسي الذي يهدد مستقبل أوروبا. هذا ما يجعل من نيتشه معاديا صريحا لنموذج الدولة القطرية ولل فكر القومي بعامة والفكر القومي الألماني بخاصة. هذا الأمر يقود الى تنفيذ وصم نيتشه بالنزعة العنصرية العرقية_على ما نجده في بعض الدراسات_. فمثل هته الاستنتاجات المتسرعة تحتاج لأكثر من إعادة فحص!

اقترح نيتشه مفهوم السياسة الكبرى كبديل لما سماه السياسات الصغرى، حيث يمثل الإنسان الأسمى النموذج المرجو ظهوره لحمل لواء السياسة الكبرى في شكله السياسي المسى "الاوربي الصالح". على النقيض يوجد "خاتم البشر" أو المواطن الديمقراطي، نموذج للإنسان المعتدل المتوسط، الذي يمثل غاية الأفكار الديمقراطية، رامزا لعلامة الانحطاط والانحلال السياسي في المتن النيتشوي.

فبالنسبة لفيلسوف القوة، فإن السلام الدائم علامة على سكون أموات وركود
ينافي مبدأ الحياة، ومن هنا مقولته : إذا أردت السلام فاستعد للحرب!

قائمة المراجع

باللغة العربية :

1. دولا كامباني، كريستيان (2003). الفلسفة السياسية اليوم، (نبيل سعد، مترجم)،
مصر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
2. سلوتردايك، بيتر (2003). الانجيل الخامس لنيتشه، (علي مصباح، مترجم)، المانيا
كولن: منشورات الجمل.
3. لوكاش، جورج (1981). تحطيم العقل الجزء الثاني : شوبنهاور كيركغارد نيتشه،
(الياس مرقص، مترجم)، بيروت: دار الحقيقة.
4. نيتشه، فريدريك (2001). العلم الجدل، (سعاد حرب، مترجم) بيروت: دار المنتخب
العربي للدراسات والنشر والتوزيع.
5. نيتشه، فريدريك (2003). ما وراء الخير والشر: تباشير فلسفة المستقبل، (جيزيلا
فالور حجار، مترجم)، بيروت: دار الفارابي.
6. نيتشه، فريدريك (2007). هكذا تكلم زرادشت: كتاب للجميع ولغير أحد، (علي
مصباح، مترجم)، بيروت : منشورات الجمل.
7. نيتشه، فريدريك (2011). إرادة القوة: محاولة لقلب كل القيم، (محمد الناجي،
مترجم)، الدار البيضاء المغرب: إفريقيا الشرق.
8. نيتشه، فريدريك (2013). (محمد الناجي، مترجم)، الدار البيضاء المغرب: إفريقيا
الشرق.
9. نيتشه، فريدريك (2014). إنساني مفرط في إنسانيته: كتاب للمفكرين الأحرار الجزء
الأول، (علي مصباح، مترجم)، بيروت : منشورات الجمل.

10. Bilheran .Ariane (2005). la maladie critère des valeurs chez Nietzsche .France :édition l'Harmattan.
11. Dalie .Giroux(2003). L'unité de la forme et du fond et la grande politique Nierzschéenne .*Sociétés* .vol. n° 81 .no. 3.
12. Jaspers .Karl(1950). Nietzsche: introduction a sa philosophie (Henri Niel .Tr) .France : édition Gallimard.
13. kynast .Pierre (2014). le surhomme de Friedrich Nietzsche: une introduction philosophique (Frédéric Clarke .Tr) .paris : édition PKP.
14. Nietzsche .Frederick (1901). Le gai savoir (Henri Albert .Tr) .paris : édition mercure de France.
15. Nietzsche .Frederick (1907). Considérations inactuelles première série (Henri Albert . Tr) .paris : édition mercure de France.
16. Nietzsche .Frederick (1913). Par delà le bien et le mal (Henri Albert .Tr) .paris : édition mercure de France.
17. Nietzsche .Frederick (jan 2011). Ecce homo .(Alexandre Vialatte .Tr) .édition œuvres ouvertes (version électronique).
18. Tazerout .Mohand(1946). les éducateurs sociaux de l'Allemagne moderne: critique de l'éducation allemande .paris : nouvelles édition latines.
19. Tazerout .Mohand(1946). les éducateurs sociaux de l'Allemagne moderne: l'éducation vitaliste .paris : nouvelles édition latines.

تساؤلات

تأثير المثقف؟

محمد داود

أستاذ بجامعة أحمد بن بلة وهران

في البداية لا بد من طرح مسألة في غاية الأهمية وهي أن بعض المفاهيم تحتاج إلى دراسة عميقة، لكونها ملتبسة لدى العديد من الناس، ماذا نقصد بالمثقف؟ وماذا نقصد بالشعب؟ وإذا حصرنا هذين المفهومين في إطارهما المعرفي، يمكننا أن نتناول الموضوع بكل أريحية، حيث أن المثقف أشكال وأنواع، لكنني أجمل ذلك في أن هذا الأخير هو من ينذر نفسه للعمل الفكري والثقافي بصفة عامة ومنه نجد "المثقف التقليدي" الذي يردد الأفكار السابقة ولا يجدد فيها إلا قليلا، ويرى أنه لا يمكن إبداع أكثر مما هو موجود، لأن كل شيء قد تم قوله في هذا الموضوع أو ذاك، وهو بالتالي مثقف لا يحب التغيير وقد يقاومه. وهناك "المثقف المجدد" الذي يضيف إلى ما هو موجود أشياء جديدة ويتبنى طروحات قد تعارض ما هو قائم ومكرس، ولعل هذا الموقف النقدي هو الذي يجعله هدفا سهلا من قبل منتقديه.

أما مفهوم الشعب، المقصود مجموع السكان في منطقة معينة تجمع بينهم مجموعة من القيم التاريخية والثقافية والسياسية والمصير المشترك، والشعب لا "يوجد" إلا في لحظة تاريخية معينة، أي حالة التهديد الخارجي أو في حالة تقرير المصير السياسي الداخلي، أي في البحث عن شرعية سياسية للمؤسسات الوطنية، مثلما يحدث الآن في الجزائر، لكن عندما تتحقق طموحات "الشعب"، تتحول مكوناته إلى حقيقتها الاجتماعية، أي بصفتها مجتمعا تمتلك فيه كل فئة مصالحها وطموحاتها الخاصة بها تدافع عنها وتجتهد للوصول إليها. وإن كان مفهوم "الشعبوية" يحمل في طياته الاستجابة لمطالب "الشعب"، فإنه قد تم توظيفه من قبل الفاعلين السياسيين والقادة في كل مرحلة لإسكات صوت المعارض والمختلف

وبالتالي صوت المثقف النقدي، لأن الشعبية تعتمد في كثير من الأحيان على الديماغوجية والتلاعبات الفكرية والإعلامية لخدمة مصالحها السياسية الآنية، والشعبوية تيارات مختلفة لا تحب التغيير في الكثير من الأحيان ولهذا لا تقبل النقاش وترى أنها تملك الحقيقة المطلقة، وهي بالتالي تعادي الديمقراطية بما تحمله هذه الأخيرة من قيم الحوار والتسامح وعدم الإقصاء. وتعتمد الشعبية في الجزائر على تمثيلات فكرية تقصي مجهودات الفرد وعبقريته، مثل "البطل هو الشعب"، و"اختيارات الشعب"، إلى غير ذلك من التصورات التي قزم الفرد وتجعله يذوب في المجموع، بينما لهذا الفرد أدوارا يقوم بها داخل الديناميكية الاجتماعية، وهي أدوار لا يستهان بها. وهذه الديماغوجية والوطنية الضيقة والروح الأبوية وما ينتج عن ذلك من تسلط واستبداد هي التي توجه ضد المثقف والسياسي المعارض عندما يقدم بدائل تعيد النظر في الوضع القائم.

وتاريخيا نجد أن المثقف الجزائري قد عرف عدة مراحل، مروراً بالثورة التحريرية وفي بداية عهد الاستقلال وفي مرحلة التسعينيات، ففي هذه المراحل جميعها تم تهميش المثقف والتقليل من شأنه وسجنه وتصفيته جسدياً، لأن في كل هذه المراحل تم تأييم أو بالأحرى تجريم المثقف وتم اتهامه بالتآمر على المصلحة العامة وعلى الوحدة الوطنية وعلى الثورة وعلى "الثوابت" وعلى "اختيارات الشعب"، لسبب بسيط أن المثقف كان دائماً ضحية وكبش فداء لصراعات السياسية في كل مرحلة من هذه المراحل، وهو دائماً محل شك وريبة ومتهم سواء تكلم وكتب أو بقي صامتا. ولكون المثقف "يتدخل فيما لا يعنيه" فهو - بحكم مقامه - يملك وظيفة اجتماعية تقتضي منه أن يشارك في الأحداث وفي هذا الحراك وهي فرصة لا تعوض بالنسبة للمثقف النقدي والمجدد حتى يسهم في التجديد الثقافي والمؤسساتي. وهنا لا أتحدث عن المثقفين التقليديين أو عن مثقفي السلطة الذين يبحثون وبانتهازية واضحة عن مكان لهم ضمن التشكيل السياسي القائم وربما فيما هو قادم، لأن هؤلاء قد اختاروا مواقعهم واتخذوا من ذلك إستراتيجية

شخصية ونجد هؤلاء في الأحزاب التقليدية الموالية للسلطة وفي الأحزاب المسماة "معارضة" وفي قنوات إعلامية وفي المواقع الالكترونية والشبكات الاجتماعية وكلها تصب في الحفاظ على الوضع القائم وعدم الذهاب بعيدا في التغيير الديمقراطي وتحت مبررات مختلفة. فالمثقف الحقيقي الذي يدرك، بكل وضوح وتبصر، الرهانات السياسية التي تمر بها البلاد، لا يملك إلا أن يخطر في هذه الديناميكية السياسية التي يمثلها الحراك الذي انطلق منذ 22 فبراير، لكن بطرحه للبدائل التي تقود نحو بر الأمان، ولا اعتقد في ذلك تنازلا أو تخلي عن قناعات معينة، بل بالعكس فتواجد المثقف- التقليدي منه والمجدد- في الحراك ضروري، لكون بناء الجزائر الجديدة، جزائر دولة القانون والحريات تهم الجميع ومختلف الفئات الاجتماعية دون استثناء. وعندما تتحقق هذه المطامح يمكننا أن نتحدث وأن نتحاور حول مختلف القضايا التي تشغل بال المثقف الملتزم بقضايا الشعب، لكن هذا لا يعني تخليا عن قناعات أو مواقف سابقة بتاتا، أعتقد أن المرحلة الحالية والقادمة تتطلب حضورا قويا للمثقف النقدي لكي يسهم في بناء الوطن على أسس سياسية تجعل الجزائريين في منأى عن الاستبداد والتسلط والظلم، وتحفزهم على القيام بواجباتهم نحو دولتهم، أي لما يخرج الشعب من صفته "الشعبوية" إلى صفته الاجتماعية، أي إلى كونه مجتمعا تتجاذب فيه المصالح وتقاوم فيه الفئات الاجتماعية من أجل حياة كريمة، يمكننا إن نتطرق إلى جميع الموضوعات الهامة دون تجريح أو سب أو شتم لبعضنا بعض.

ملخصات ومفاهيم مفتاحية

الحراك الشعبي بالجزائر: الدوافع والعوائق

عبد القادر بوعرفة

الحراك الشعبي مظهر من مظاهر الاحتجاج المدني المعاصر، يمتاز بالوعي واجتناب العنف المسلح كوسيلة للتغيير الجذري. تتفاوت صوره من مجتمع لآخر، إلا أن طبيعة الحراك واحدة وهي تغيير النظام السائد وبناء دولة مدنية تستجيب لمعايير دولة الحق والمواطنة، وتصبو لتحقيق الحرية وحقوق الإنسان.

الكلمات مفتاحية: الحراك؛ الوعي؛ الجزائر؛ 22 فبراير؛ الدولة.

Abstract (English):

The Hirak (Popular movement) is a manifestation of contemporary civil protest , characterized by awareness as well as the avoidance of armed violence to be a means of radical change. Its forms vary from one society to another ,but the nature of the movement is the same: it aspires to change the existing system and to build a civil state that meets the standards of a state of right and citizenship and aims at realizing freedom and human rights.

Keywords : Hirak ,Awareness; Algeria; 22 February; State.

قيمة المواطنة ودورها في التنمية المحلية

بلحاجي أمينة

يعتبر المواطن أحد المداخل الرئيسية لدراسة العلاقة بين الدولة والمجتمع وهي العلاقة التي تنطوي على آثار بالغة الأهمية بالنسبة للتنمية المستدامة في بعدها الوطني والمحلي وفي إضفاء الطابع الديمقراطي على التسيير خاصة في ظل المتغيرات الحاصلة على نسق الدولي والمرتبطة بالحقوق السياسية والحريات العامة ووكذا المواطنة التي تربط الشعور القوي بالانتماء للوطن وما ينجم عنه من حقوق وواجبات، والضرورة الحتمية التي تقتضيها مساهمة أفراد المجتمع لتحقيق أهداف التنمية المحلية.

الكلمات المفتاحية: الوطن، المواطنة، التنمية، التنمية المحلية،

Résumé :

Le citoyen est considéré comme l'une des principales approches de l'étude des relations entre l'État et la société, qui a des implications très importantes pour le développement durable dans ses dimensions nationale et locale et pour la démocratisation de la gouvernance, en particulier à la lumière des changements internationaux liés aux droits politiques et aux libertés publiques. Et la citoyenneté qui lie le fort sentiment d'appartenance à la patrie et les droits et devoirs qui en résultent et l'inévitable nécessité requise par la contribution des membres de la société pour atteindre les objectifs du développement local.

Mots clés : pays, Citoyenneté, développement, développement local.

الفكر العربي المغربي عند الجابري بين أزمة الحداثة وكيفية قراءة التراث

أودينة خالد

نوضح من خلال هذا المقال قضية جد حساسة ترتبط بقضية الوجود والعدم أي ما يمكن الفرد من تحقيق استمراره كذات واعية ومبدعة أو تابعة آليا لفكر غريب عنها وعن تراثها، حيث يبرز لنا الجابري، كيف بقي العرب تأهين بين نقيضين، الانهيار بما وصل إليه الغرب من تقدم علمي وتكنولوجي، وبين الحفاظ على الهوية وعدم الاندماج في الحضارة الغربية التي تسعى للسيطرة والهيمنة، أن التراث هنا قد وظف كسلاح إيديولوجي لمقاومة التحديات.

ووضح لنا كيفية النهوض عن إعادة النظر في العلاقة بين الماضي والحاضر، عن طريق التخطيط لثقافة الماضي وثقافة المستقبل، ومنه توفير شروط المواكبة والمشاركة، أي مواكبة الفكر المعاصر والمشاركة في إغنائه وتوجيهه ويكون ذلك عن طريق التحليل الإيستيمولوجيالبنوي لا الإيديولوجي لثقافتنا العربية الإسلامية قصد تحديد أساسياتها المعرفية والمنطقية التي شكلت العقل العربي من أجل الرقي بمختلف معارفنا في إطار من التواصل الفكري مع التراث التاريخي للإنسان العربي، ولهذا يجب التواصل مع الماضي، وبناء أسس صحيحة لجعله تراثا معاصرا لنا وفق الشروط أو الظروف التي نعيشها.

الكلمات المفتاحية: التراث، الحداثة، الهوية، النهضة، العقلانية السوسيوثقافية.

Résumé :

La pensée arabe maghrébine chez El Djabiri entre la crise de la modernité et la manière de lire et interpréter le patrimoine culturel.

Via cet article « nous essayons d'éclairer sur une question sensible « relative à celle de l'existence et de la non-existence. C'est-à-dire ce qui permet à l'individu d'assurer sa continuité entant qu'être conscient « créatif ou lié automatiquement à une pensée étrangère à lui et à ses coutumes et traditions (son patrimoine).

El Djabiri nous a montré comment les arabes ont été perdus entre deux paradoxes : la fascination du progrès scientifique et technique de l'occident et la préservation de son patrimoine et de son identité comme étant une arme idéologique et de résistance face aux défis et donc la non intégration dans la civilisation occidentale qui veut dominer.

Il nous a aussi clarifié la manière de se progresser en revoyant la nature de la relation entre le passé et le présent par une planification de la culture du passé et celle à venir ; ce qui veut dire fournir les conditions d'accompagnement et de participation (accompagner la pensée contemporaine et participer à son enrichissement et sa destination). Tout ceci ne se réalise qu'avec l'analyse épistémique constructiviste non- idéologique de notre culture arabo-musulmane. L'objectif de cette analyse est d'indiquer les fondements épistémologiques qui ont bâti le cerveau arabe pour un essor de toutes nos connaissances dans le cadre d'une communication des pensées avec le patrimoine historique de l'être arabe.

C'est pourquoi il faut faire des liens avec le passé et construire des piliers solides pour rendre notre patrimoine moderne selon nos conditions et nos circonstances.

Mots clés : Patrimoine, modernité, identité, révolution, rationalisme, sociohistorique.

مفهوم (السياسية الكبرى) في فلسفة نيتشه السياسية

أيمن بوطرفة

تعتبر الفلسفة النيتشوية أحد أكثر الفلسفات جذرية ونقدية في تاريخ الفلسفة بعامة، بفعل شموليتها وامتداداتها لعدد مجالات الحياة. على المستوى السياسي، ينطلق نيتشه من نقد الحداثة السياسية، حيث قادت هته الأخيرة قادت الى انتشار الأفكار الديمقراطية والاشتراكية وما يسميه نيتشه بالمساواة العدمية، ونموذج الدولة-الأمة، التي تنتهي الى ما يسميه نيتشه ب(السياسة الصغرى). وعلى النقيض يقترح نيتشه فلسفة سياسية تقوم على مفهوم (السياسة الكبرى) حيث الدعوى لسياسة أكثر توسعية وأكثر انفتاحا أيضا. فتظهر دعوة نيتشه لمشاريع من مثل الوحدة الأوروبية ومفهوم الانسان الأسى الذي يقابله النموذج السلبي لخاتم البشر في المشروع الديمقراطي الحداثي. ان السياسة الكبرى هي سياسة الانسان الأسى.

الكلمات المفتاحية : نيتشه ; السياسة الكبرى ; فلسفة سياسية ; الانسان الأسى

Summary :

We can say that the philosophy of Nietzsche is one of most radical and most critical of all the history of the philosophy. Because of his exhaustiveness and its extension in diverse Domains of life. On the political level Nietzsche begins with the criticism of the political modernity ،of which she leads to the democracy and to socialism ،and what calls Nietzsche the egalitarian nihilism ، ،and the model of the nation state ،which belongs to what calls Nietzsche the (small policies). On the other hand Nietzsche develops a political philosophy based on the notion (big policy) ،which leads us to a more expansive and more open policy. Of it Nietzsche calls up to the European unity and the notion of the Übermensch ، Which contradicts models her denial of the (last man) in the sphere of the modern democracy. We can say that the big policy is the policy of the Übermensch.

Key word: Nietzsche ; big policy ; political philosophy ; Übermensch

تأثير المثقف؟

محمد داود

مفهوم الشعبوية" يحمل في طياته الاستجابة لمطالب "الشعب"، فإنه قد تم توظيفه من قبل الفاعلين السياسيين القادة في كل مرحلة لإسكات صوت المعارض والمختلف وبالتالي صوت المثقف النقدي، لأن الشعبوية تعتمد في كثير من الأحيان على الديماغوجية والتالعات الفكرية والإعلامية لخدمة مصالحها السياسية الآنية، والشعبوية تيارات مختلفة ال تحب التغيير في الكثير من الأحيان ولهذا ال تقبل النقاش وترى أنها تملك الحقيقة المطلقة، وهي بالتالي تعادي الديمقراطية بما تحمله هذه الأخيرة من قيم الحوار والتسامح وعدم الإقصاء. وتعتمد الشعبوية في الجزائر على تمثالت فكرية تقصي مجهودات الفرد وعبقري ته، مثل "البطل هو" اختيارات الشعب"، إلى غير ذلك من التصورات التي «قزم الشعب"، والفرد وتجعله يذوب في المجموع، بينما لهذا الفرد أدوارا يقوم بها داخل الديناميكية الاجتماعية، وهي أدوار ال يستهان بها. وهذه الديماغوجية والوطنية الضيقة والروح الأبوية وما ينتج عن ذلك من تسلط واستبداد هي التي توجه ضد المثقف والسياسي المعارض.

الكلمات المفتاحية: الشعبوية- المثقف- الديمقراطية- الديناميكية الاجتماعية، - الوطنية- الإعلامية.